



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية



د. نهلة الجمراوي

فلسفة الأخلاق

(مفهومها - تاريخها - تطورها)



فلسفة الأخلاق
(مفهومها، تاريخها، تطورها)

γ

فلسفة الأخلاق

(مفهومها، تاريخها، تطورها)

تأليف

د. نهلة الجمزاوي

- فلسفة الأخلاق (مفهومها، تاريخها، تطورها)
- سلسلة فلسفة الشباب
- د. نهلة الجمزاوي

• الناشر: وزارة الثقافة

شارع صبحي القطب

المترع من شارع وصفي التل

ص. ب ٦٤٠ - عمان - الأردن

تلفون: ٥٦٩٩٠٥٤ / ٥٦٩٦٢١٨

فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨

Email: info@culture.gov.jo

الملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٨/٤٩٣٠)

١٧٧

الجمزاوي، نهلة

فلسفة الأخلاق: مفهومها، تاريخها، تطورها/ نهلة الجمزاوي - عمان: وزارة

الثقافة، ٢٠٢١

(٤) ص

ر. إ.: ٢٠٢١/٨/٤٩٣٠

المواصفات: علم الأخلاق // الفلسفة الأخلاقية/

يشتمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• الإخراج الفني: سمير يوسف هاتف: 0799677569

• مصمم الغلاف: عبادة الفحماوي

• متابعة وتنسيق: فادية توهل

• (ردمك): ISBN 978-9957-94-688-3

• **جميع الحقوق محفوظة للناشر**: لا يسمح باعادة اصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطى مسبق من الناشر.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

فهرس

٧	٠ تمهيد
١٣	٠ الفصل الأول: مفهوم الأخلاق
١٥	– لغةً
١٧	– اصطلاحاً
١٨	– فلسفة الأخلاق
٢٩	٠ الفصل الثاني: فلسفة الأخلاق في الديانات السماوية
٣١	١- الأخلاق في اليهودية
٣٩	٢- الأخلاق في المسيحية
٤٨	٣- الأخلاق في الإسلام
٦٣	٠ الفصل الثالث: فلسفة الأخلاق في الثقافات القديمة (بلاد الشرق - الإغريق)
٦٧	أ- فلسفة الأخلاق في بلاد الشرق: (مصر، الهند، فارس، الصين)
٧٩	ب- فلسفة الأخلاق في الثقافة الإغريقية: السفسيطائيون، جورجياس، بروتوغوراس، فيثاغوروس، هيراقليطس، ديمقريطس، سقراط، أفلاطون، المدرسة الكلبية، القورينائيون، أرسطوطاليس، الأبيقوريون، والرواقيون، الأفلاطونية المحدثة «أفلو طين»

١٠٧	• الفصل الرابع: فلسفة الأخلاق في العصر الحديث (أنموذجات مختارة)
١٠٩	– ديكارت
١١٠	– مالبرانش
١١١	– سبينوزا
١١٣	– كانط
١١٧	– شوبنهاور
١١٩	– نietzsche
١٢٥	• الفصل الخامس: الأخلاق في أبرز مدارس الفكر المعاصر
١٢٧	– الماركسية
١٢٩	– البرجماتية
١٣٢	– الوجودية
١٣٩	• خلاصة
١٦٣	• المصادر والمراجع

تمهيد

ووصف التجربة الأخلاقية بأنها ثورة في سبيل التقدم، ورفض الواقع الراهن، تطلعًا إلى مستقبل وواقع أفضل يضبط حياة البشر على هذه الأرض وفق ما يشبه القوانين والقواعد السلوكية التي تستقي أهميتها من قيمتي الخير والشر، وتفاوت الأخلاق زمانياً ومكانياً، وهي في صيغة دائمة، تتجدد وتتغير بحسب تغير التجارب الإنسانية، فالإنسان بطبعه ثوري يصبو غالباً إلى الأفضل وإلى ما يحقق مصالحه المادية والمعنوية.

والتجربة الأخلاقية بحسب «جورج كورفيتش»^(١) ليست سوى ثورة فكرية دائبة، فهي ثورة على الحاضر باسم المستقبل، وثورة على المتحقق باسم ما يجب تحقيقه، وثورة على الأهداف باسم الغايات، وثورة على

(١) جورج گورفتش Georges Gurvitch (١١ نوفمبر ١٨٩٤ - ١٢ ديسمبر ١٩٦٥، باريس)، هو عالم اجتماع وفقيه فرنسي ولد في روسيا. وهو أحد رواد علم الاجتماع في عصره، وكان متخصصاً في علم اجتماع المعرفة. عام ١٩٤٤ أسس Cahiers internationaux de Sociologie، تقلد كرسي علم الاجتماع في سوربون في باريس. كمجاهر بدعوه لإنهاء الاستعمار الفرنسي للجزائر.

الغايات والأوامر باسم القيم، وثورة على القيم باسم الحرية المبدعة..إلخ. ويؤكد: «أن التجربة الأخلاقية ثورية بالدرجة الأولى، وهي ثورة روحية تشد دائمًاً مزيدًاً من العمق...» (العوا، ١٩٨٣، ٧) ويعني أن السمة الأبرز للتجربة الأخلاقية هي الثورة، وأن السعي وراء تجديد وتطوير الأخلاق يحتاج إلى ديمومة من الثورات في معظم مجالات الحياة....وقد أثبتت التجربة التاريخية، صيرورة الأخلاق وتجددها، عبر ثورات فكرية زمانية ومكانية.

وتتضمن هذه الدراسة تعريفًا عامًا بفلسفة الأخلاق، على الصعيدين: اللغوي، والاصطلاحي، كما تسلط الضوء على الأخلاق، بوصفها مصطلحًا شائكةً شغل العديد من الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة منذ أعمق الحضارات إيجالاً في التاريخ.

من هنا علينا أن نفرق جيداً بين الأخلاق، بوصفها مفهوماً لغوياً واصطلاحيًّا، وعلمًا قائماً بذاته، وبين ما يطلق عليه اسم فلسفة الأخلاق، وهذا أمر ليس باليسير، في ظلّ الكم الهائل من الآراء، والدراسات التي تناولت

موضع الأخلاق، بكلفة مناحيه المعرفية والعلمية والفلسفية.

وتعرض الدراسة موجزاً لفلسفة الأخلاق، لدى أبرز الديانات، والحضارات، والمذاهب الفكرية التي رصدها تاريخ الأخلاق، بهدف إلقاء قدر من الضوء على الإرث الهائل الذي راكم لمفهوم الأخلاق المتفاوت بين تلك الأديان والشعوب والمذاهب الفكرية على مدار التاريخ الإنساني بقصد تقديم ملخص شامل لمفهوم الأخلاق وإلقاء نظرة بانورامية لفلسفة الأخلاق وتاريخها، وتعريف المتلقى بأهمية نشوء علم خاص يبحث في الأخلاق ويستعرض محاولات وصفها، وترجمة معناها لغة واصطلاحاً وفلسفهً، وذلك عند مختلف الثقافات ولدى أهم الحضارات القديمة. مثل (الهند ومصر وفارس والصين واليونان) وما تضمنتها من ديانات، ومذاهب فلسفية، كالبوذية والهندوسية، والمجوسية.... إلخ، وكذلك عند أبرز مدارس فلاسفة الإغريق: (السقسطائيون، فيثاغوروس، هيراقليطس، ديمقريطس، سocrates، أفلاطون، القورينائيون، المدرسة الكلبية،

أرسطو طاليس، الأبيقوريون، والرواقيون، الأفلاطونية المحدثة «أفلاطين»). والتعريف بفلسفة الأخلاق عند أهم الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية).

وستتعرض الدراسة لفلسفة الأخلاق في الفكر الحديث والمعاصر، وأهم مدارسه منها: (الماركسية، البرجماتية، الوجودية).

كما ستتناول طروحات لنماذج من أبرز رواد الفكر الحديث والمعاصر، ومحكمي ما بعد الحداثة، مثل: (ديكارت، مالبرانش، سبينوزا، كانط، شوبنهاور، نيتشه... إلخ)

وهكذا نكون قد استعرضنا مفهوم فلسفة الأخلاق عبر حقبات زمنية متعاقبة، أي منذ ما يقارب ٦٠٠٠ قبل الميلاد حتى العصر الحديث خلال أبرز المدارس الفلسفية وعند أهم الفلاسفة والمفكرين بموجز مفيد ولغة مبسطة تصل إلى المتلقى (الشاب أو غير المتخصص) بسهولة ويسر، بهدف تعزيز معنى الأخلاق

وتفاوتاته المتسقة مع تفاوتات البشر واحتلافاتهم الفطرية منذ الأزل حتى يومنا هذا، وبهدف تعزيز عملية إعمال العقل والتفكير الناقد، وتعزيز حرية الفكر والإرادة المبنية على المعرفة، ونبذ العصبية والأحكام المسبقة، وتعزيز قبول الآخر، والتمييز السليم المتكمء على قيمتي الخير والشر... وذلك وفق دراسة علمية موثقة ومحايدة.

كما تسعى الدراسة إلى إثراء القاموس اللغوي لدى المتلقي (الشاب أو غير المتخصص) ببعض المفردات الفلسفية الجديدة المتداولة في الحياة الثقافية بعد توضيحيها وشرحها في الهاوامش.

الفصل الأول

فلسفة الأخلاق، مفهومها :
(لغة، اصطلاحاً، فلسفة)

فلسفة الأخلاق، مفهومها (لغة، اصطلاحاً، فلسفةً)

، لا بد قبل الحديث في تاريخ الأخلاق أن نسلط الضوء على الأخلاق بوصفها مصطلحاً شائكاً شغل العديد من الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة على مدار التاريخ، ومن هنا علينا أن نفرق جيداً بين الأخلاق بوصفها مفهوماً لغوياً واصطلاحياً، وعلمياً قائماً بذاته، وبين ما يطلق عليه اسم فلسفة الأخلاق، وهذا أمر ليس باليسير في ظلّ الكم الهائل من الآراء، والدراسات التي تناولت موضوع الأخلاق بكلفة مناحيه الإبستمولوجية^(١) والعلمية والفلسفية، فإذا ذهبنا في تحليل المفردة لغة نجد ما يدل على معانٍ متشابهة في مضمونها وإن اختلفت أساليب التعبير.

• الأخلاق لغة :

جمع خلق: ومن معانيه في اللغة: «الطبع والسببية والعادة». يقول ابن منظور (١٢٣٢ م - ١٣١١ م):

(١) المعرفية.

«واشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، وكذلك تقول للذى ألف شيئاً صار ذلك له خلقاً، أي مرن عليه ومن ذلك **الخلق الحسن**». (ابن منظور، ٢٠٠٣، ٢٠٠)

«والخلق، الخلق: السجية، والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقة أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعاناتها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعاناتها، ولهمما أوصاف حسنة وقبيحة..... الخلق الدين وأما قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله) فقال قتادة: **لدين الله**». (ابن منظور، ٢٠٠٣، ١٩٦)

وأرى أنّ ما يتضح من التعريفات السابقة ويجمع بينها، أنّ **الخلق** سلوك يصدر عن النفس البشرية بالفطرة، أو «بفعل التعود»، وقد تحول السلوك إلى طبع وسجية في تلك النفس، متخذناً صفة الديمومة لا الحالة المؤقتة، إذن، **الخلق** هو طبع، وكسب في آن واحد، أو أنه طبع يتحقق بفعل الكسب، وما نلاحظه أيضاً، أنّ تلك التعريفات لا تشير إلى دور الإرادة في تشكيل هذا

الخلق، ورسوخه في النفس، وتجليه في مظاهر السلوك، سواء جاء هذا الخلق، بفعل التأثير القسري الاجتماعي والسياسي.. وغيره، أو بواسطة أوامر الوحي الإلهي، إذا كانت المفردة تدلّ على معنى الدين فحسب، كما ورد عند ابن منظور في لسان العرب، وأشارت بشكل طفيف إلى التطبع بمعنى الكسب أي التربية، لكنها ركزت على الفطرة في أغلب الأحيان.

◦ الأخلاق اصطلاحاً :

ذهب الباحثون إلى عدة تعريفات اصطلاحية للأخلاق، يصبّ بعضها في الدين، وأخرى في علم الاجتماع، وأخرى في الفلسفة «فلسفة الأخلاق»، مما يُبرّز ثلاثة معان للأخلاق: فقد تعني الأخلاق: طريقة، أو أسلوبًا معيناً في الحياة، وهو الأقرب إلى الأخلاق الدينية، أو مجموعة معينة من قواعد السلوك التي يربى عليها النشء في المدارس أو المنزل، أو أنها البحث في طرق الحياة، وقواعد السلوك، وهذا الفرع من الفلسفة الذي يسعى إلى وصف الفضائل الأخلاقية في مجتمع

معين، أو زمان محدد، فهو لا يقوم بعملية النصح والإرشاد، بل إنّ مهمته دراسة هذه الفضائل أو الرذائل دراسة عقلية خالصة، ولهذا يوصف أحياناً بأنه «متنا أخلاق»، أي ما وراء الأخلاق، أو ما تحتها، أو هو سرح وتفسیر للأسس، والمسوّغات التي تقوم عليها، ويعتقد د. إمام أن: «فلسفة الأخلاق بالمعنى الضيق، تكاد تقوم من أخلاق العرف مقام فلسفة العلم». (إمام، ١٩٨٥، ٥)

• فلسفة الأخلاق :

إذا كان علم الأخلاق يعني بدراسة السلوكيات الأخلاقية وقواعدها وشرحها فإنّ فلسفة الأخلاق تقوم بالبحث والتقصي وراء الأسباب العقلية والمعرفية التي دفعت باتجاه تكون تلك القواعد لدى شعب أو مذهب معين، وكذلك الأسس والمسوّغات؛ لتكون تلك القواعد الخلقية لديهم.

ويرى د. عبد الفتاح إمام «أن مجموعه النصائح والقواعد السلوكية لا تعبّر عن فلسفة الأخلاق، ففلسفة الأخلاق مهمتها الحفر وراء هذه النصائح، ومعرفة

الأسس التي ترتكز عليها.. أي المبرر العقلي للفضيلة والرذيلة. - لا تسرق، أراد فعل النهي عن السرقة إلى: ستذهب إلى السجن - «قوانين الدولة»، إذا سرقت يعاقبك الله بنار جهنم - إلى «الدين»؛ لأن ضميرك سوف يؤنبك - إلى «الضمير».... فالعقل الذي يجبرك أن تحترم نفسك بوصفك إنساناً يحتم عليك أن تكون أميناً - هنا أرد الفعل الأخلاقي إلى الواجب العقلي كما فعل كانط» (إمام، ١٩٨٥، ٧)

ومن هنا نجد أن د. إمام (١٩٣٤-....) يقسم مجال الأخلاق إلى مستويين: التربية الأخلاقية: النصح والوعظ، والإرشاد، ونسميه الآداب العامة، وما يتبعها من نصح وإرشاد وتوجيه، والبحث الفلسفية الذي يغوص في أعماق المستوى الأول؛ سعياً وراء الأسس الأولى، والمبادئ البعيدة التي تقوم عليها هذه الفضائل الأخلاقية، وهو فلسفة الأخلاق التي تسعى إلى نقد هذه الفضائل وتقييمها، والكشف عن المبادئ التي تنطوي عليها.

أما الإمام أبوحامد الغزالى (١٠٥٨-١١١١م) فيعرف الخلق على أنه:» هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة حيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً». (الغزالى ، ٢٠٠٤ ، ٥٢)

وإذا كان التعريف اللغوي للأخلاق يراوح بين الفطرة والكسب فإن هذا ينسحب على التعريف العلمي والفلسفى للأخلاق، وهنا نلحظ أنّ ثمة جدل فيما إذا كانت الأخلاق فطرة في الإنسان، أم أنها مجرد تعاليم وإرشادات يمكن لأى إنسان كسبها بال التربية والدرية، أم أنها مزيج من الفطرة، والكسب في آن واحد، وما موقع الإرادة بينهما.

يقول أرسطوطاليس: (٣٢٢ - ٣٨٤) ق: م: « فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن يعلم ما هي، بل يتلزم زيادة على ذلك رياضتها على حيازتها، واستعمالها، وإيجاد وسيلة أخرى لتصييرنا فضلاء وأخياراً، ولو كانت

الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخيراً^١
لاستحققت كما يقول تيوغينيس - أن يطلبها كل الناس،
وأن تشتري بأغلى الأثمان، ولكن لسوء الحظ - كل ما
تستطيع المبادىء، في هذا الصدد هو أن تشدد عزم بعض
فتیان كرام على الثبات في الخير، وتجعل القلب الشريف
بالفطرة صديقاً للفضيلة، وفيماً بعدها». (رسطوطاليس،
(٣٦٦، ١٩٢٤)

- ويختلف الكاتب الفرنسي ليفي بربيل (١٨٥٧ - ١٩٣٩ م) مع رأي كهذا تماماً، فينكر الفطرة بوصفها
أساساً تتکيء عليه الأخلاق، وتتبع منه القواعد
والمبادئ التي ترشده للتمييز بين الفضيلة والرذيلة،
ولا يعترف أن الإنسان أخلاقي بطبيعته، ولا يعتبره يتلقى
نوراً علويأً يرشده للخير والشر، كما أنه ينكر وجود مبدأ
داخلي في الإنسان يملئ عليه معرفة الخير والشر، وما
يسمى الضمير.

فهو لا يعتقد أنَّ الإنسان أخلاقي بطبيعته كما هو عاقل
بطبيعته، ولا يوافق أبداً على التسلیم بأنَّ الإنسان يتلقى
نوراً علويأً يكشف له عن التفرقة بين الخير والشر، يقول

إن هناك معنى للأخلاق هو: «معنى آخر غير المعنى الميتافيزيقي، أي أنه يعيش دائمًا في مجتمع وأنه توجد عادات خلقية وتقالييد تفرض نفسها وإلزامات وأمور محرمة (تابو) في كل مجتمع.... وما علينا إلا أن نشبه «الأخلاق الطبيعية» المزعومة «بالديانة الطبيعية» التي تربطها صلات قوية جداً». (بريل، ١٩٥٣، ٢٨٨)

ومما يشار إليه أن العرب قبل الإسلام وبعده عرفوا وثيقة الرابط بين الطبع والأخلاق، ورجحوا أن الأخلاق تعود للفطرة أساساً قبل عودتها للتربية.

قال ذو الإصبع الذهبياني:

كلّ امرئ راجع لشيمته

وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وقالت أعرابية رأت بطش ذئب ربته بشاة لها:

إذا كان الطبع طباع سوء

فلليس بنافع فيها أديب

(الذهبياني، ١٩٤٢، ١٣)

وكذلك فرق الباحثون بين مفهومين أساسين هما: الأخلاق العملية، والأخلاق النظرية، وأن الأولى سابقة على الثانية كون الأخلاق العملية هي ضرورة نشأت بظهور المجتمعات الإنسانية، فيما جاءت الثانية بفعل التقدم، والحضارة لدرس الأسس التي تتكىء عليها الأولى.

فالفلسفة الخلقية أو الأخلاق النظرية تأخرت في الظهور، فهي وليدة التقدم والحضارة، أما الأخلاق العملية فهي من لوازم الوجود الإنساني، فقد نشأت مع مشكلات الحياة، وهي مشكلات قديمة قدم الإنسان، ومن ثم نجد أن الأخلاق النظرية تضع المبادئ والنظريات والأصول، أما العملية فتبحث في التطبيقات العملية لهذا السلوك داخل إطار زمني ومكاني معين.

ومن هنا كانت قيم الأخلاق النظرية عامة كلية، بينما قيم الأخلاق العملية خاصة جزئية، الأولى تقدم الأنماط والقوالب الثابتة، والثانية تعطي المضمون والمادة المتغيرة.

يقول ليفي برييل (١٨٥٧-١٩٣٩م): «لا تختلف الأخلاق النظرية عن الأخلاق العملية اختلاف الرياضة البحتة عن الرياضة التطبيقية، إذ الحقيقة أنّ موضوع كلّ من الأخلاق النظرية، والأخلاق العملية هي تحديد السلوك، ولكن الأخلاق النظرية تحاول الصعود نحو أسمى صيغة تعبّر عن الإلزام أو الخير أو العدل، في حين الأخلاق العملية تهبط إلى التفاصيل الجزئية، فالأولى تعبّر عن درجة أسمى من التجريد والعموم والتنظيم، إضافة إلى أنّ المذاهب الخلقية النظرية ليست كذلك...». (بريل، ١٩٥٣، ٦٤)

وبالتالي لا بدّ من النظر إلى فلسفة الأخلاق بوصفها جزءاً من منظومة متكاملة تحيط بالمجتمع، وتسهم في تشكّله، فلا يمكن فصلها عن الواقع الاجتماعي أو السياسي والعلمي والديني.. إلا أنها قد استطاعت أن تستقل بالتحاقها بالفلسفة، باعتبارها دعامة رئيسة من دعائم الفلسفة ابتداء من الصين ومروراً باليونان، وغيرهما، وبالتالي صار انفصالها عن الدين بالتحديد أمراً قلقاً، إذ انتقلت من كونها أوامر إلهية إلى كونها واجباً، -

بحسب بعض الفلاسفة - وأنّ هذا الواجب قد حلّ محلّ تلك الأوامر في إلزام الناس بالسلوك الأخلاقي.

يقول ليفي برييل: «النماذج الأخلاقية ما زالت ظاهرة عامة حتى يومنا، فإن معظم الناس يتمثلون القوانين الأخلاقية كما لو كانت أوامر إلهية، أو يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يكيفوا سلوكهم بها، دون الالتجاء إلى الرحمة الإلهية أو دون معونة إلهية. (بريل، ١٩٥٣، ٢١٥)

كما يفرق الباحثون بين مفهوم الأخلاق في الفلسفة، ومفهومها في علم الاجتماع، ذلك أنّ الفلسفة تعطيها سمة العمومية التي تمنحها القيمة المعيارية، لتكون صالحة لكلّ زمان ومكان، باعتبارها قوانين يقاس عليها السلوك الإنساني، ومن ثمّ يكون للإرادة دور في تشكيل السلوك الأخلاقي لدى الفرد.

أما علم الاجتماع فيلزم الفرد أن يستمد سلوكه من الإطار المجتمعي العام حوله، دون أن يكون له دور وإرادة في ذلك باعتباره جزءاً من كلّ.. ومما تقول به

المدرسة الاجتماعية: «أن الإنسان الذي يعيش في مجتمع معين، لا بد أن يعكس المبادئ الأخلاقية والعادات السائدة في مجتمعه... ولذلك فإن الإنسان يحكم على الأفعال والتصерفات، لا من خلال ضميره فحسب، بل من خلال ضمير المجتمع». (بدوي، ١٩٩٤، ١)

وأجد أن حركة التاريخ قد أثبتت صيغورة فلسفة الأخلاق، وتطورها عبر الأزمنة والمذاهب المختلفة، وكذلك انتكاستها وتراجعها في أزمنة وأمكنة أخرى، فهي متحركة كأي شأن من شأن العلوم والفلسفات الأخرى، إذ إن الأخلاق القديمة في معظمها كانت مستمدة من الدين، وظلت كذلك حتى بداية عصر ما قبل سocrates كالفيتاغورية، وشعر الملاحم عند هو ميروس، وهزيود، ومصر القديمة، والهند، وفارس، ثم أصبحت الأخلاق جزءاً من الفلسفة إبان العصور اليونانية، ثم تراجعت لتعود إلى الدين في الأفلاطونية المحدثة، وكذلك في العصور الوسطى، ثم عادت إلى الفلسفة في عصر النهضة، «واليوم نشهد حركة قوية لطرد

الميتافيزيقيا^(١) من ميدان الأخلاق، تكاد توازي إن لم تكن تفوق حركة طرد الدين من هذا الميدان أيضًا.. (مرحبا، ١٩٩٥، ٢٠)

تبين مما سبق كيف تراوحت الأخلاق في مفهومها بين الدين والفلسفة بكلفة اتجاهاتها، ومن اللافت أنَّ تطورها وازدهارها كانا يتزايدان كلما ذهبت باتجاه الفلسفة، نابذة وراءها كلَّ ما هو قسري يحدّ من الإرادة والقوية، بينما تضعف وتضمحل كلما اتجهت نحو المسلمات والقوانين الثابتة الجامدة الخارجة عن إرادة الإنسان، المحجومة لطاقاته وقوته.

(١) الميتافيزيقيا: هي علم ما بعد الطبيعة، وهو العلم الذي يتأمل الموجودات المحسوسة.. وهي العلوم النظرية التي تبحث الأشياء اللامادية كالوجود عموماً لا سيما الله والكائنات العقلية التي خلقها على شكله.. وهي أيضاً معرفة الأشياء في ذاتها، لا معرفة الظواهر التي تتجلى من خلالها هذه الأشياء، وهي دراسة الأشياء من منظور الأزل، أي من حيث هي جواهر وما هيات ثابتة وأزلية، لا من منظور تاريفي وزماني، أي من حيث هي متغيرة وذائلة. فالميافيزيقا، عموماً هي بحث المطلق واللامشروط، وبحث في المبادئ والعلل الأولى لجميع الأمور. (جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب-تونس، ٢٠٠٤، ص ٤٦٠)

الفصل الثاني

فلسفة الأخلاق في الديانات السماوية

فلسفة الأخلاق في الديانات السماوية

١. الأخلاق اليهودية

تستند الأخلاق اليهودية كما المسيحية والإسلام فيما بعد إلى الكتب المقدسة وال تعاليم الإلهية، إضافة إلى التوراة، هناك التلمود «Talmud» الذي يعتبر مصدر التشريع الرئيس لليهود، وهو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية: الكتاب العقائدي الذي يفسر وي sist كلّ معارف الشعب الإسرائيلي و تعاليمه وقوانيه الأخلاقية وآدابه «ويتكون التلمود من جزأين هما المنشاة والجمارة». ^(١)

«ويُدعى حاخاميم اليهود (الربانيون) أن موسى -عليه السلام- هو المصدر الأول لهذا الكتاب، ويفسرون ذلك بقولهم: إن موسى قد تسلم من الله أيضًا تفسيرات

(١) المنشاة: وهو الجزء الأول والرئيس للتلمود كله، وقد اعتمد اليهود في كل مكان على هذا الكتاب، وأنه المرجع الرسمي الموثق به لقانونهم. والجمارة: تكونت من مناقشات ومناظرات علمائهم حول محتويات المنشاة، وألف الحاخامات هذه الشروح في فترة طويلة، تمتد من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد (المنشاة والجمارة)، وقد أطلق عليهما اسم التلمود.

وشرعوا لهذا القانون، وهو ما يدعى بالقانون الشفوي، أو القانون الثاني، ويطلقون عليه اسم torah shebeal peh». (الشرقاوي، ١٩٩٣، ١١)

يقول الحاخام فابيان: «الحياة اليهودية - حتى هذا اليوم - مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية، فطبقوستنا وكتاب صلاتنا، واحفالاتنا، وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود». (الشرقاوي، ١٩٩٣، ١٥)

من هنا أرى أن التلمود - بالنسبة لليهود - سلطة إلهية إلزامية ثابتة، ومنها يستمدون فلسفتهم الأخلاقية باعتبارها ربانية، لا حول لهم فيها ولا قوة، وبالتالي الإرادة محيدة عن التدخل في تلك الأخلاق.

وفي حين أعطت كل الشرائع الدينية صفة القدسية والعظمة والرهبة للإله المعبد من قبلها، جاء التلمود فجرّد الله من تلك الصفات وأنسنه، وجعله يقع في كل الخطايا التي يقترفها البشر آنذاك، مستمدًا ذلك من فكرة

أن الله جعل اليهود شعباً مدللاً لديه، مما منحه صلاحية أن يحاسب خالقه ويحاكمه. يقول التلمود: (إِنَّ اللَّهَ يَنْدَمُ لِأَنَّهُ تَرَكَ الْيَهُودَ فِي حَالَةٍ مِّنَ التَّعَاسَةِ، حَتَّىٰ أَنَّهُ يَلْطَمُ وَيَبْكِي)، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى منتهاه، وترجف الأرض فتحدث الزلازل.... ويقول: (إِنَّ اللَّهَ غَضِبَ يَوْمًا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَحَلَّ بَحْرٌ مَّا نَهِمُّ مِنَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ نَدَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ زَالَ طَيْشُهُ وَتَهُورُهُ، وَلَمْ يَنْفَذْ ذَلِكَ الْيَمِينُ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ عَمَلاً ضَدَّ الْعَدْلَةِ). (صبري، ٢٠١١، ١٤)

وكذلك اتسمت أخلاق اليهود ومعتقداتهم بالغرابة في نظرتهم للأنبياء والقديسين، في بينما نجد جميع أديان البشرية تحرص على تزييه أنبيائها وقدسيتها، نلاحظ أن اليهود خالفوا ذلك، ولم يتورّعوا عن إلهاقهم بكل الخطايا والذنوب والصفات اللاأخلاقية، ويدركون هذا في أسفارهم صراحة: «لَوْطٌ يَجَامِعُ بَنَاتَهُ وَهُوَ سَكَرٌ وَيَنْجِنُ مِنْهُ مَؤَابٌ أَبَا الْمُؤَابِيْنَ، وَابْنٌ عُمِيٌّ وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُونَ إِلَى الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ نُوحٌ يَسْكُرُ، وَيَعْقُوبٌ يَسْرُقُ، وَيَهُوْذَا يَزْنِي بِزَوْجَةِ ابْنِهِ، وَدَاوُودٌ يَزْنِي بِزَوْجَةِ أُورِيَا،

وسليمان يختتم حياته بعبادة الأصنام، وهارون يصنع العجل الذهبي ويعبده». (سفر التكوين، الإصلاح التاسع عشر، ص ٣١).

وبالرغم من وقوع هذه الأفكار الصادمة على مسامعنا إلا أننا لسنا بصدده تقويم آرائهم تلك في هذه الدراسة، بل نكتفي بعرضها بعد استنباطها من مصادر تشريعاتهم المعتمدة لديهم، وكما تمّ وضعها والعمل بها وتقديسها، ومن اللافت أنّ أخلاق اليهود - بحسب تشريعاتهم متناقضة، ومزدوجة، إذ أنهم يشرعون نوعين من الأخلاق: نوع موجّه باتجاه اليهود بعضهم تجاه بعض فقط، أما النوع الآخر فلهم أن يتجاوزوا معه كلّ ما هو أخلاقي، ففلسفة الأخلاق لديهم هي فلسفة عرقية عنصرية بشكل متطرف، تدفع باتجاه الحفاظ على اليهود فقط، وذلك من خلال تعزيز شعورهم بالطبقية العرقية على بني البشر.

وهذا ما دفعهم إلى الصراع الدائم مع كلّ البشر لاعقادهم بأنّ البشر وممتلكاتهم مسخرون لهم، فالأسفار اليهودية تلهمهم بأنهم ماضطهدون مكبّتون؛

لهذا تكون ردة فعلهم بالتعالي والأنانية والعزلة، فيندفعون نحو الآخر بالخيانة والغدر والاحتيال والخداع والتآمر والقتل والسرقة والنهب، وتسویغ أية وسيلة لا أخلاقية للوصول إلى غایاتهم، ومن ثم صاروا مكروهين عند كل شعوب الدنيا، وصبت عليهم الكثير من الدول سخطها، قديماً من الآشوريين والبابليين والرومان، وحديثاً من الروس والبولنديين والألمان.. إلخ.

وفيما يتعلق بالمرأة من الأغيار، فهي مستباحة من قبل اليهودي، تقتل وتغتصب وتحاسب هي على ذلك أيضاً! يقول موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤ م): « العقوبة الرئيسية تنزل بالمرأة من الأغيار، إذ يتوجب إعدامها وإن كانت قد اغتصبت من يهودي: فإذا مارس يهودي الجنس مع امرأة من الأغيار، ولو كانت طفلة في الثالثة من عمرها، أو بالغة، ولو كانت متزوجة أو غير متزوجة، ولو كان اليهودي قاصراً في التاسعة من عمره بالإضافة إلى يوم واحد، ينبغي قتل المرأة، ولأن تعمد الاتصال بها جنسياً كما هو الحال مع الحيوان، ويكون

اليهودي قد أوقع نفسه في مشكلة عن طريقها وينبغي أن
يجدل.....

كما تتحدث التعاليم التلمودية عن إمكانية إلحاق
الضرر بالأغيار، إن لم يتمكن اليهودي من إيذائهم بشكل
مباشر، فاليهودي: «يستطيع أن يؤذيهما بشكل غير مباشر،
كأن يزيل السلم مثلاً بعدهما يكون الشخص المعين قد
سقط في هوة». (شاحاك، ١٩٩٧، ١٣٠)، وكذلك في
أمر التعامل بالربا، «للأجنبي تفرض بربا ولأخيك لا
تفرض بربا». (سفر التثنية، الإصلاح الثالث والعشرون،
ص ٣١٦)

ويعتقد اليهود بما يسمى «قاعدة طهارة السلاح»:
«حسب التلمود الهاالاخاه^(١)، ينبغي الافتراض في زمن
الحرب أنّ الأغيار آتون لقتلك»،...من هنا يبررون حالات
القتل الجماعي في كفر قاسم ١٩٥٦...لأجل مبدأ طهارة
السلاح نجا القاتلون من المحاكمة والعقاب». (شاحاك،
١٣٥، ١٩٩٧)

(١) الهاالاخاه: بالعبرية، تعني السير أو المذهب، أي الشريعة اليهودية، وهي مجمع القوانين، التقاليد والإرشادات الدينية المفروضة لمن يتمسك بالديانة اليهودية. وتشمل ٦١٣ وصية.

وتعتبر السرقة من اليهود ممنوعة منعاً باتاً، ومن الأغيار مسموحة، حين يكونون تحت حكمهم، وكذلك السلب بالقوة، ومن هنا ببرروا سلبهم لممتلكات الفلسطينيين، وساند ذلك أغلبية يهودية ساحقة... تقول التوراة: «متى أتى بكَ الربُّ إلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَخَلَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا وَطَرَدَ شَعْبَهَا كَثِيرًا مِّنْ أَمَامِكَ، الْحَتَّىْنِ، وَالْجَرْجَاشِيْنِ، وَالْأَمْوَارِيْنِ، وَالْكَنْعَانِيْنِ، وَالْعَرَزِيْنِ، وَالْحَوَّيْنِ، وَالْبَيْوَسِيْنِ، سَبْعَ شَعُوبَ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ وَدَفَعَهُمُ الْرَّبُّ إِلَهُكَ إِمَامَكَ وَضَرَبَهُمْ فَإِنَّكَ تَحْرِمُهُمْ لَا تَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا تَشْفَقُ عَلَيْهِمْ». (سفر التثنية، الإصلاح السابع، ص ٢٩٠)

«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِيْنَةٍ لَكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعَهَا إِلَى الصُّلْحِ ١١، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعَبِ الْمُوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِتَسْخِيرِ وَيَسْتَعْبُدُ لَكَ.

١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.

١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ

وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتَهَا، فَتَعْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ.»
(سفر التثنية، الإصلاح العشرون، ص ٣١٠)

وبناءً على ما سلف نجد أن فلسفة الأخلاق عند اليهود قائمة على العنصرية، إذ تقترب مقاييس الصحة والخطأ بديانة الشخص المقابل، أي فيما إذا كان من يتعاملون معه يهوداً، أم غير ذلك، فمع الغير تقلب المعايير، ويتحول فعل الرذيلة إلى فضيلة يكافأ عليها اليهودي إن قام بها نحو الآخر، وهذا ما يجعلهم لا يشبهون أحداً من سباقهم أو تلامهم من شعوب الأرض في فلسفتهم الأخلاقية هذه.

وفيما يتعلق بالإرادة والقوة فكل شيء رهن بالتعاليم الدينية، فلا إرادة فردية لديهم وإنما هي إرادة جماعية، باعتبارهم شعب الله المختار، فقد تدخلوا في صنع تعاليم إلهية تحاول أن تجعل منهم فئة مختارة من البشر، مما حولها إلى ديانة عنصرية بعيدة عن القوة المستندة إلى العدالة الإنسانية، بل إن العدالة بالنسبة لهم هي كلّ ما يصب في مصلحة اليهودي دون غيره من البشر، والمريض

في هذه الأفكار الأخلاقية أنها منسوبة إلى الرب، ومن ثم
بات تحقيقها واجباً دينياً لا يمكن الحياد عنه.

٢. الأخلاق في المسيحية :

تستند هذه الأخلاق إلى الديانة المسيحية المتمثلة في كتابها المقدس: العهد الجديد» الإنجيل، إضافة إلى أعمال الرسل، والأنجيل المعترف بها من قبل جميع الكنائس هي: (إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، والأنجيل جميعها تعنى بحياة المسيح وأقواله ومواعظه، أما رسائل الرسل فهي شرح للتعاليم الدينية.

وقد اعتبرت المسيحية في بدايتها امتداداً للفكر اليهودي، لكنها كانت أكثر بساطة وتسامحاً، والعهد الجديد اتسم بالتشاؤم إذ اهتم بالخطيئة واحتقار الأهواء والشهوات الإنسانية، واعتبر أنَّ الخلاص لا يتحقق إلا باللطف الإلهي لا بالأعمال الأرضية، واتسم بالتفاؤل في الوقت نفسه؛ لوجود البشارة المسيحية وحبَّ الآخرين والإحسان والمحبة والمغفرة، إذ أطلقت شعار: «الله محبة».

وكذلك ظهرت أفكار تزمنية تدعو إلى الصرامة وعدم التساهل، كما ظهرت الأخلاق العقلية، وظهرت الفضائل الأربع: (العفة والحكمة والشجاعة والعدالة)، وهي تمازج بين أفكار أرسطو، والوحي المسيحي، إضافة إلى فضائل لاهوتية أخرى هي الإيمان والإحسان، والتفاني، والتواضع، والزهد في الدنيا وتفضيل الحياة الآخرة عليها...

«اْحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتُكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يُنْظُرُوكُمْ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». (إنجيل متى، الإصلاح السادس، آية 1، ص ٨)

«لَا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسَدُ السُّوْسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرُقُونَ. بَلْ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسَدُ سُوْسٌ وَلَا صَدَأٌ». (إنجيل متى، الإصلاح السادس، آية ١٩)

وقد أكدت المسيحية احتقار المال وتمجيد الأجر السماوي، واعتبرت المال سيداً بمثابة إله يوازي إله السماء، ودعت إلى نبذه وعبادة إله السماء.

«لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَنَا، لَأَنَّهُ إِنَّمَا أَنْ يُغْضَبَ الْوَاحِدَ وَيُحَبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرُ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ. «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُوا بِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرُبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبِسُونَ. أَلَيْسَ الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنِ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنِ الْلِّبَاسِ؟ (إنجيل متى، الإصلاح السادس، آية ٢٤، ص ١٠)

ونجد أن الأخلاق في المسيحية تقوم على إنكار الذات، وكتب الغرائز الفطرية في الإنسان الطبيعي من رغبات.

إنها أخلاق فردية، ولا تعنى بالمجتمعات، بل إنها أدت إلى انقسام المجتمع المسيحي إلى: الرهبان والقساوسة من هم قادرون على تطبيق تلك الأخلاقيات القاسية من جهة، وعامة الشعب من لم يتمكنوا من الانصياع التام لتلك الأخلاق من جهة أخرى، كما دعت إلى التسامح الشديد حد التفريط بحقوق الذات والصبر على الأذى.

(٣٨) «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قَيْلَ: عَيْنٌ بَعْيْنٌ وَسِنٌّ بِسِنٌّ (٣٩)، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنَ فَحَوَّلْ لَهُ الْأَخْرَ أَيْضًا، (٤٠)، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذْ ثُوبَكَ فَأَتْرُكَ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا (٤١)، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْتَيْنِ، ٤٢، مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلَا تَرْدُهُ». (إنجيل متى، الإصلاح الخامس، آية ٣٨-٤٢)، ص ٨

ونزيد على ذلك أنّ المسيحيية خالفت اليهود في وضع أخلاق خاصة وأخلاق للأغيار، بل إنها وضعت أخلاقاً للإنسانية برمتها فأمرت بمحبة الأعداء، وليس الأغيار فحسب والتسامح معهم.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قَيْلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْعِضُ عَدُوَكَ (٤٤)، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحَبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَا عَنِيكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُنْعَصِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ (٤٥)، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». (إنجيل متى، الإصلاح الخامس، آية ٤٣-٤٥)، ص ٨

الأُخْلَاقُ الْمُسْكِيَّةُ فِي الْعَصُورِ الْمُوْسَطِيِّةِ

انقسمت هذه الأخلاق إلى قسمين:

- الأخلاق التي جاء بها المسيح، وتمثلها قولهً وعملاً ونطق بها الإنجيل وطبقها بسلوكه وتبعه الحواريون، وهي تخاطب القلب أكثر من العقل، وتعتمد الوحي لمعرفة الخير والشر أكثر من اعتمادها النظر والتفكير الحرّ:

(٣) «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. (٤) طُوبَى لِلْحَزَانِيِّ، لَأَنَّهُمْ يَتَعَزَّزُونَ.

(٥) طُوبَى لِلْمُوْدَعَاءِ، لَأَنَّهُمْ يَرْثُونَ الْأَرْضَ. (٦) طُوبَى لِلْجَيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْبَرِّ، لَأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. (٧) طُوبَى لِلرَّحْمَاءِ، لَأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. (٨) طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقَلْبَ، لَأَنَّهُمْ يَعَايِنُونَ اللَّهَ. (٩) طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ. (١٠) طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبَرِّ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. (١١) طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرْتُمْ وَكُمْ وَطَرَدْتُمْ، وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلْمَةً شَرِّيرَةً، مِنْ أَجْلِي، كَادِبِينَ. (١٢) افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لَأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ

»فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ«
(إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية ١٢-٣)، ص ٧

وما يميز هذه الأخلاق أنها تخاطب كافة الطبقات، ولا تدعو للتعالي والعنصرية والطبقية، بل إنها تنحاز إلى الطبقة الشعبية، وهي ديانة عاطفية تحتفي بالضعفاء، وتمجد الفقراء، ومرجعيتها الأساسية هي الأوامر الإلهية، لا دور كبير فيها للإرادة والتفكير، إلا بشأن إدارة تلك الأوامر السماوية، فكلّ ما حثّ عليه الدين هو خير، وما نهى عنه هو الشرّ.

• الأخلاق المسيحية المفلسفة: هي تلك التي أفرزتها عقلية المفكرين المتدينين، في محاولة لإيجاد أسس نظرية للأخلاق الدينية، وهؤلاء يقسمون إلى قسمين:

طائفة المحافظين:

وهم أولئك الذين تركوا النص كي يأخذ طريقه نحو القلوب دون مساس أو تأويل.. يرجعون إلى الله في

تقدير الخير والشر، وليس للعقل دور في تقدير حسن الأفعال وقبحها، وهم اللاهوتيون مثل «بيتر أبيلارد - Peter Abelard ١٠٧٩- ١١٤٢ م»، و«دونس سكوت Duns Scotus ١٢٦٠- ١٣٠٨ م»^(١) و«جييرسون Gerson ١٨٨١- ١٩٥٩ م»، والسعادة القصوى لديهم هي أن يكون الإنسان محبًا لله، وأن يكون محبوبًا منه، والخير الأسمى لا يتحقق في الحياة الدنيا لأنّها لا تتسع له. (موسى، ١٩٥٣، ١٥٣)

طائفة المفكرين المتحررين:

صيغت الأخلاق بالصبغة الفلسفية، على يد «توما الإكويني Tommaso d'Aquino ١٢٢٥- ١٢٦٦ م»^(٢)

(١) دنس سكوتس O.F.M Duns Scotus، (ج. ١٢٦٦ - ١٣٠٨ م)، هو فيلسوف اسكتلندي، ولاهوتي فرنسيسكاني، وواحد من أبرز ثلاثة فلاسفة-علماء لاهوت في العصور الوسطى المتوسطة. له تأثير كبير على الفكر الكاثوليكي والعلماء.

(٢) القديس توما الإكويني، فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير من أتباع الفلسفة المدرسية، طوب قديسًا. هو أحد علماء الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بأنه العالم الملائكي Doctor Angelicus، اعتبرته الكنيسة عالمها الأعظم، وظلت فلسفته التوماوية لوقت طويل المدخل الفلسفى الأساسى لمقاربة فكر

»، وفلسفته بنظر الدكتور «هنري سدجويك» (١٢٧٥م)، تسودها مسحة من الفلاطونية المحدثة، أُولَت ونوقشت في ضوء النظرية المسيحية، مستمدة من أوغسطين بوجه خاص، ويعتقد توما أنَّ كلَّ عمل أو حركة لكافة الكائنات الناطقة واللاناطقة، موجهة نحو غاية أخير ما.» (سدجويك، ١٩٤٩، ٢٤٥)

يتساءل د. سدجويك، إلى أيِّ حدٍ يستطيع الإنسان أن يحقق الكمال الطبيعي، والكمال المسيحي عبر فلسفة توما الإكويني الأخلاقية؟ ويجيب بأنَّ هذا هو الجزء الذي يبدو اتساق عناصره المختلفة أضعف ما في مذهب توما.

ويشير إلى أنَّ توما لا يكاد يفطن إلى أنَّ مسيحيته التي جعلها أرسطوطاليسية تضم لا محالة مشكلتين مختلفتين في علاجها لهذا الموضوع: «أولهما: المشكلة الوثنية القديمة في التوفيق بين الاقتراح الذي يقول: إنَّ

الكنيسة الكاثوليكية. وهو حامي الجامعات والكلليات والمدارس الكاثوليكية.

الإرادة أو الغرض هو رغبة عقلية موجهة على الدوام نحو خير ظاهر، وبين حرية الاختيار بين الخير والشرّ، تلك الحرية التي يلوح لنا أنها تعوز النظرة القانونية للأخلاق، وثانيهما: المشكلة المسيحية في جعل هذه الفكرة الأخيرة تتسع مع الاعتماد المطلق على الفضل الإلهي الذي يؤكده الشعور الديني. ويتجنب توما المشكلة الأخيرة بافتراضه تعاوناً بين الإرادة الحرة، والفضل الإلهي، أمّا المشكلة الأولى فإنه لم يخصها بعنابة كبيرة». (سدجويك، ١٩٤٩، ٢٥١)

لذلك، أعتقد أنّ توما الإكويني أوّل من استطاع أن ينطّف بال المسيحية نحو الفلسفة، ويضفي عليها الطابع العقلي، فهو ممثل الفلسفة الدينية في العصر المدرسي، إذ استطاع أن يعلي قليلاً من شأن الإرادة، كونه اعترف بحرية الإنسان وقدرته على الاختيار في أمور محددة، إلا أنه سرعان ما يعود إلى الميتافيزيقيا حيث لا تكون السعادة إلا بالإتصال بالله، وبالتالي يكون قد قوّض إرادة الإنسان أمام السلطة الإلهية.

٣. الأخلاق في الإسلام

تتسم الحضارة العربية الإسلامية بأنها نهلت من موروثات الكثير من الأمم والحضارات العريقة الأخرى؛ بسبب المد الإسلامي الذي طال عدداً من الدول العظمى المحيطة بالجزيرة العربية، وكان للأخلاق عند تلك الأمم حظٌّ وفير من إثراء المنظومة الأخلاقية السائدة عند العرب قبل الإسلام وبعده، إضافة إلى أنّ الأخلاق الإسلامية، هي في الأصل مزيج من الأخلاق اليهودية والمسيحية، ومن عقائد الأمم السابقة التي صهرت وأعيد إنتاجها، بما يتواهم مع واقع العرب بعد الإسلام في الجزيرة وما حولها، ويرجع الباحثون مصادر التراث الأخلاقي في الإسلام إلى ثلاثة مراجع أساسية: «ديني: من القرآن والحديث والتوراة والإنجيل، وفلسي: عن اليونان، وأدبي: عن الفرس والهنود، يعني بصفة خاصة بما يدخل تحت عنوان السياسة المدنية». (موسى، ١٩٤٢، ٩)

لكنّ المصدر الأساس للأخلاق الإسلامية هو الوحي الإلهي؛ لذا فشمة جزء كبير منها لا يقع تحت

الإرادة الإنسانية، بل يقع في باب التسليم بالأمر الإلهية فحسب، باعتبارها هي مصدر الخير، وقد تجلت فلسفة الأخلاق الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت تعود إلى مرجعين:

١- ما جاء به القرآن والسنّة، يقول تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم». (سورة القلم، آية ٤)، وكذلك في قول الرسول _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٨١)

٢- وما جاء به المفكرون الإسلاميون: وهي الأخلاق الإسلامية المفلسفة التي جاء بها المفكرون الإسلاميون متأثرين بالفلسفة الإغريقية على وجه الخصوص.

أما القرآن فتحدث في ناحيتين:

- التاحية النظرية :

الأسس والقواعد النظرية في الأخلاق الفلسفية، مثل الموقف من طبيعة الإنسان، ومصدر الإلزام والمسؤولية

الخلقية، وعناصر السلوك الإنساني وقواعد، أبرزها: وحدة الأصل الإنساني: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ» (الحجرات، آية ١٣)

المؤاخذة بالنوايا: إذ عبر عن ذلك بصيغة «كسب القلوب، أي ما أضمرت القلوب من نوايا حسنة أو سيئة، وليس بما تفوهت به الألسن فحسب، «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُ قُلُوبُكُمْ» (البقرة، آية ٢٢٥)

- الناحية العملية :

المطابقة بين القول والعمل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتَنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف، آية ٢ - ٣)

ويشمل الجانب العملي في الأخلاق: (الفرد والأسرة والمجتمع والدولة)

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى
وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِمُ لِعْكُمْ
تَذَكَّرُونَ» (سورة النحل، آية ٩٠)

وفي شؤون الدولة أكّد ضرورة الطاعة والولاء:
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُثُرْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا». (سورة النساء، آية ٥٩)

العلاقة بالآخر:

وعن العلاقة بالآخر من غير المسلمين فشمة صرامة
وحديّة، فإذا القتل أو الجزية.

«فَاتَّلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا
يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ
صَاغِرُونَ» سورة التوبه، الآية، (٢٩)

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبو» (سورة المائدة، الآية: ٣٣)

أما في حالة السلم فقد حضت الشريعة الإسلامية على حسن معاملة الناس عموماً، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ إذا كانوا مسالمين، ولا يظهرون العداء وال الحرب، هنا تكون معاملتهم بالعدل والإحسان وعدم الإساءة إليهم، مع اشتراط دفع العجزية، قال الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِّنِ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨)، ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخْذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طَبِّ نَفْسِ فَأَنَا حَجِيجُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (رواه أبو داود، وحسنه ابن حجر)

ومن صور هذه المعاملة جواز زيارتهم ومشاركتهم أفرادهم وأحزانهم، كما لا حرج في الأكل من طعامهم لقوله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) (المائدة، آية ٥)

وكذلك يجوز التعامل معهم بالبيع والشراء وغيرها من وجوه المعاملات الشرعية.. فقد قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – دعوة المرأة اليهودية إلى طعامها، وعاد الغلام اليهودي المريض، واستقبله وفدى نصارى نجران في مسجده وأكرمه فيه، واستمر هذا الحال في الخلافة الرشيدة أيضاً، ومثال على ذلك «العهدة العمرية» وهي الوثيقة التي أعطاها عمر بن الخطاب للنصارى في بيت المقدس، وأمنهم فيها على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وغيرها من حقوقهم وحرياتهم.

الدنيا والآخرة:

كما حثّ الإسلام على المزاوجة بين الدنيا والآخرة، أباح ملذات الدنيا، لكنه حثّهم على العمل من أجل جزاء الآخرة، لأنّه الأبقى، «رُزِّقَنَ اللَّهُنَّاسُ حُبُّ الشَّهُوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقُنَاطِيرِ الْمُقْتَضَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْعِيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَأْبِ». (آل عمران، آية ١٤)

«وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين». (القصص آية ٧٧)

ولم يترك الإسلام أمر الأخلاق للرغبات والأهواء، بل وضع ضوابط وقوانين تتكىء على «الترغيب والترهيب»، فكما رغب في نعيم الجنة، مارس سياسة الترهيب والتوعيد بالعذاب، لمن عصى الأوامر الإلهية، كوسيلة لدفع الإنسان إلى التزام الأخلاق التي أجمع عليها العرف والموروث الإنساني كالصدق والأمانة، والعدل، والرحمة.....إلخ.

«وَيَوْمٌ لَكُلُّ أَفَاكَ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصْرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بَعْذَابَ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوا أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسْبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلَيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ» (سورة الجاثية، الآيات من ٧-١٠)

إذن فالأخلاق الإسلامية مستمدة من الوحي الإلهي، و تستند إلى تعاليم القرآن والسنّة النبوية الصحيحة، وهي تستشهد بالفطرة، لكنها أيضاً تدعو للتعديل في السلوك الإنساني بواسطة التربية، واهتمام بالجوانب النظرية، كما ركزت أيضاً على الجانب العملي من السلوك الإنساني، ولم تترك هذه الأخلاق لخيار الأهواء والرغبات، بل إنها تحكم إلى «الترغيب والترهيب»، في الدنيا والآخرة، محتكمة في كل ماسبق إلى القانون الإلهي المستمد من القرآن والسنّة. إذن، لا دور للإرادة الإنسانية إلا في أن تدفع بالإنسان نحو الامتثال الكامل للإرادة الإلهية.

المفكرون وال فلاسفة ممن كتبوا في الأخلاق .. أنموذجات مختارة

• أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (٨٠٥ هـ - ٨٧٣ هـ) :

من أوائل المشتغلين على الجمع بين أرسطو وأفلاطون، وعلى التوفيق بين الدين والفلسفة، تأثر بمحنة سocrates واستشهاده في سبيل الفضيلة، لذا ألف عدة

رسائل في الأخلاق: منها: رسالة في خبر فضيلة سocrates، ورسالة في خبر موت سocrates، ورسالة في الأخلاق، ورسالة التنبية على الفضائل، ورسالة في النفس وأفعالها.

«الأخلاق عنده هي إصلاح النفس بتحكيم العقل في القوتين الحيوانيتين في الإنسان، وهما الشهوة والغضب، إذ كان هذا المبدأ يونانياً، وهو الذي أثر عن سocrates وأفلاطون وأرسطو، فقد وفق الكندي، بينه وبين تعاليم الإسلام الأخلاقية والتي تعتمد أساساً على الدين». (الأهواي، ١٩٦٦، ٣١٨)

• الشهابي، أبوالنصر محمد بن محمد بن طرخان، (٢٦٠-٣٣٩) هـ:

تأثير بسocrates في أنّ الفضيلة هي المعرفة، كما تأثر أيضاً بأرسطو.. وكذلك بأفلاطون في قدرة العقل على الاستقلال في الحكم على الأشياء بالخير أو الشّر، كما يتفق مع أفلاطون في أنّ السعادة العظمى للنفس تتأتى إذا تخلصت من قيود المادة، وصارت عقلًا بالفعل.

يقول عن السعادة: «هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود، إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى

مادة.. وفي جملة الجوادر المفارقة للمواد إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال، وإنما تبلغ ذلك بأفعال لا إرادية، بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية.» (الفارابي، ٢٠٠٢، ١٦٤)

فهو يعتبر أن السعادة بوصفها معرفة الحقيقة هي الخير المطلق، وكل ما يعيق الوصول إليها هو شر مطلق، وهذا لا يتحقق إلا بالفلسفة التي تحصل بقوة الإدراك والقدرة على التمييز بين الحق والباطل، وامتلاك المنطق الذي يمكننا من اعتناق الحق وترك الباطل، إذن تتحقق السعادة فقط عن طريق الفلسفة بوصفها أعظم الخيرات، التي يصبو إليها الإنسان. كما دعا الفارابي إلى الزهد بحاجات الجسد فإنسانيته تتحقق عن طريق الحكمة والشوق الدائم إلى الاتصال بعالم المثل، والحقائق العلوية، ويعني الله تعالى.

٠ إخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الثالث الهجري) :

إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري والعشر

الميلادي بالبصرة، اجتمعوا على التوفيق بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها «تحف إخوان الصفا»، وهنالك كتاب شبيه آخر ألفه «الحكيم المجريطي القرطبي» المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، وسماه «رسائل إخوان الصفا».

ومن أبرز ما دعوا إليه أنهم حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، معتقدين أن الشريعة دُنست بالجهالات، ولا سبيل لغسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة... وأن الإنسان عندهم يكون خيراً، إذا عمل حسب ما تملّيه عليه طبيعته الحقيقة، ومن مبادئهم أنّهم يخسون حقّ الجسد، ويعتنون بالنفس لأنّ الإنسان في الحقيقة ما هو إلا تلك النفس، وأسمى غيّاتهم أن يعيشوا مع سقراط واقفين أنفسهم على الأمور العقلية. قسموا الأخلاق على أساسي (الفطرة والكسب)، يقولون:

– «إن الأخلاق كلها نوعان، إما مطبوعة في جبلة النفوس مركوزة فيها، وإما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها..» (إخوان الصفا، ١٩٥٧، ٣١٠)

• بن مسكويه أحمد بن يعقوب، (٩٣٢-١٠٣٠ م) :

هو أبرز من كتب في الأخلاق في نطاق الفكر الإسلامي، له كتاب «تهدیب الأخلاق وتطهیر الأعراق»، يلتقي مع أفلاطون في مذهب النفس وتقسيماتها، وأهم ما جاء به أن الخلق قابل للتغيير، وإلا فهذا يبطل قوة التمييز والعقل، ويترك الناس همّجاً مهملين، إذاً هو يؤكّد على التربية الأخلاقية التي تتحقق نتيجة التعلم والاكتساب وفق أسس وضوابط تربوية دقيقة ومضبوطة.

ويرى أنّ الأخلاق لا تحصل بشكل انفرادي، بقدر ما تحصل داخل المجتمع الإنساني حتى تصل إلى مرتبة الأخلاق الفاضلة، وقد اختلف مع السابقين في أنّ السعادة وليدة تفكير وتأمل فقط، أو عمل دؤوب فقط، بل رأى أنّ السعادة نتاج الأمرين معاً، يقول: «الخيرات هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الأمور التي وجد الإنسان ومن أجلها خلق، والشرور هي الأمور التي تعوقه عن هذه الخيرات، وإرادته وسعيه أو كسله وانصرافه، والخيرات قد قسمها الأولون إلى أقسام كثيرة، وذلك أنّ منها ما هي شريفة، ومنها ما هي

ممدوحة، ومنها ما هي نافعة، ومنها ما هي بالقوة، كذلك
تعني بالقوة التهيئة والاستعداد». (ابن مسكوني، ٢٠١٥،
(٦)

بمعنى أنّ الأمور التي وجد الإنسان من أجلها وسعى
فعلاً إلى تحقيقها هي الخير، أما المعيقات التي تعيقه
عن تحقيق تلك الأمور والأهداف فهي الشر بعينه...
هكذا هو مفهومه عن الخير والشر، من هنا نلاحظ أنّ ابن
مسكوني تميز بتظليله لدور الإرادة التي تدفع بالإنسان
للتنتقل به بين الخير والشر.

٠ الغزالى: أبوحامد محمد أحمد الغزالى (١٠٥٨-١١١١م)

نحا منحى أفلاطون ومن تأثر به من المسلمين،
كالفارابي، وابن مسكوني في تقسيم النفس إلى ثلاث قوى
تنتج عنها ثلاث فضائل: الحكمة: فضيلة القوة الناطقة،
والعفة: فضيلة القوة الشهوانية، والشجاعة فضيلة القوة
الغاضبة، كما أضاف فضيلة رابعة هي العدالة.

وتعتبر هذه أمهات الفضائل، أمّا السعادة القصوى فلا
تحتحقق إلا في الآخرة، ويتأتى هذا بالعلم والعمل، ويتحقق

ذلك في قوله: «إن النية والإرادة والقصد عبارات متوازدة على معنى واحد، وهو حالة وصف للقلب، ويكتنفها أمران: علم وعمل».

والعلم يتقدم لأنّه أصل وشرط، والعمل يتبع لأنّه ثمرة وفرع، وذلك لأنّ كلّ عمل أعني كلّ حركة وسكون اختياري لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وإرادة وقدرة، لأنّه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه، فلا بدّ وأنّ يعلم، ولا يعمل ما لم يرد فلا بدّ من إرادة، ومعنى الإرادة ابتعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض، إما في الحال وإما في المال».
(الغزالى، ٢٠٠٤، ٣٨١)

ونلحظ هنا أنّ الغزالى يولي الإرادة جزءاً من اهتمامه، ورغم ذلك فهذه الإرادة هي باتجاه الامتثال لأوامر الله، ولنلست إرادة إنسانية بحثة.

نخلص، مما سبق، إلى أنّ معظم الفلاسفة الإسلاميين تأثروا بالفلسفة الإغريقية المتمثلة في أقطابها الرئيسية الثلاثة: سocrates، وأفلاطون وأرسطو، إضافة إلى تأثرهم ببعض المذاهب وأبرزها الرواقية، كما أنّ هذه الفلسفات

يغلب عليها النزعة العقلية، إضافة إلى فكرة أن السعادة لا تحدث إلا بالتوحد مع الله، كغاية قصوى لتحقيق السعادة، وهذا يتأتى بفعل التأمل والتحلي بالفضائل.

الفصل الثالث

الأخلاق في الثقافات القديمة

(بلاد الشرق - الإغريق)

الأُخْلَاقُ فِي النَّسَاطِرِ الْقَدِيمَةِ (بِلَادِ الشَّرْقِ - الْإِغْرِيقِ)

يعتقد البعض أن الفلسفة بشكل عام، ولا سيما فلسفة الأخلاق بزغت لدى الإغريق فحسب، إلا أن تاريخ الفلسفة وجينيولوجيا الأخلاق أثبتا أن ثمة حضارات سبقت اليونان بآلاف السنين، وكان لها فضل عليها أيضاً، إذ يقدر عمر الفلسفة المصرية بستة آلاف قبل الميلاد، فيما يصل عمر الفلسفة الهندية أحد عشر قرناً (١١٠٠٠ قبل الميلاد، والفارسية ٦٦٠ قبل الميلاد - ٥٨٣ قبل الميلاد)، والصينية ستة قرون (٦٠٠ ق.م.)، توازيها الإغريقية ستة قرون قبل الميلاد (٦٠٠ ق.م.). (موسى، ١٩٥٣ ١٤ - ١٥) و (مرحبا، ١٩٩٥، ٥٥ - ٥٦)

إلا أن هناك من ينكر ذلك التأثر، يقول الكاتب الفرنسي «بارتلمى سانتهيلير» في مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطو: إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا، ومع التسليم بأنها تقدمتها في الهند والصين وفي فارس وفي مصر؛ فإننا لم نستعر منها كثيراً ولا قليلاً،

فليس علينا أن نصعد إليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا، والأمر على الضدّ من ذلك مع الفلسفة الإغريقية، إننا بها نحصل بالماضي الذي منه خرجننا». (أرسطو، ٢٠٠٧، ٤)

بينما يرى آخرون عكس ذلك، «وشهد شاهد من أهله، فها هو ذا «ديودور الصقلي»^(١) المؤرخ اليوناني الذي زار مصر بين عامي (٦٠-٥٧ق.م) يذكر أن بين الذين اتصلوا بمصر وعاشوا فيها من علماء اليونان وأدبائها وفلسفتها هو ميروس الشاعر اليونان، وليكورغ lycurge «المشرع الإسبرطي»، وصولون واضح قوانين أثينا، وفيثاغوروس، وديمقريطس وأفلاطون، وطاليس..» (موسى، ١٩٥٣، ١٤-١٥) و (مرحبا، ١٩٩٥، ٥٥)، وأكد ذلك مؤرخ يوناني آخر هو «أفلو طرخس» plutarque «الذي زار مصر في (١٢٠ق.م)»، وذلك في كتابه (إيزيس وأوزيريس). (موسى، ١٩٥٣)

(١) دiodorus الصقلي (نحو ٨٠-٢١ق.م) دiodorus الصقلي Siculus مؤرخ موسوعي يوناني. ولد في مدينة أغريون الصقلية وعاش في عصر القوة للإمبراطورية الرومانية المتaramية الأطراف، والتي تمتد على مساحات واسعة من القارات الثلاث القديمة.

أ- الأخلاق في بلاد الشرق: (مصر، الهند، فارس، الصين):

«فلسفة الأخلاق في الثقافة المصرية (٦٠٠٠ ق.م.):

الأخلاق إلهية: آمن المصريون القدماء بأن الكون خاضع لقوة إلهية تتولى تصريف شؤونه بحكمة وعدالة، وأن «الإلهة» اتخذت عرش مصر مستقرًا لها، ولما أرادت أن تستبدل عرشًا في السماء بعرش الأرض استخلفت أبناءها من الفراعنة العظام، بعد أن زودتهم بكل صنوف المعرفة؛ حتى يحكموا بين الناس بالعدل؛ وبذلك يحقّقون الخير للناس.

ويستند السلوك الأخلاقي لديهم إلى مبدأي الثواب والعقاب، بسبب إيمانهم بالحياة الأخرى التي يجازى فيها الإنسان على ما فعله في الدنيا..يقول الفيلسوف المصري القديم «فتح حتب»:

«لا تستبدل لثلا تضل، إن شئت أن تطاع فسل المستطاع، لا تكن يابسًا فتكسر ولا لينا فتعصر، لا تخن من ائتمنك لتزداد شرفاً ويعمر بيتك، الزم الصمت إن لم يكن داع للكلام، لا تشته مال غيرك، لا تفرح بمال الظلم

فإنه سريع الزوال، لا تشاحدن مع من لا يعرف قدرك،
لا تعنف سيء الخلق أمام الناس لثلا يهينك، تعرف
الصاحب عند الشدة، الكثير الكلام تسهل معرفة باطنه».
(بسوني، ١٩٩٧ ٦٥)

نلاحظ أن تلك الوصايا وردت وتكررت في الديانات السماوية بنصها أو مضمونها، فهي تدعو للخير، ولكن امثالاً للأوامر الإلهية العليا، كما نجد أنَّ الأخلاق لدى المصريين القدماء هي أخلاق عملية: الشعور النظري الأخلاقي بالواجب يجعلهم يدركون معنى المسؤولية عن كلّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال، والإرادة لها دور في تحويل القيم النظرية إلى واقع سلوكية، له أثر على الفرد والمجتمع.

«فلسفة» الأخلاق في الثقافة الهندية (١١٠٠ ق.م.):

البراهمية أو الهندوسية:

وهي ديانة الأغلبية في الهند، قامت على أساسين: وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح).

وحدة الوجود: أي أنّ الكائنات جميعها صادرة عن إله واحد، وبالتالي فهي مظهر من مظاهره، فهو منبث فيها جميعاً؛ لذا يمكنها أن تتحدد به، وتعود إليه.

تناصح الأرواح: إنّ الروح لا تفني بفناء الجسد، بل تنتقل منه إلى جسم آخر، حتى تتطهر مما يمكن أن يكون قد علق بها في الجسم الأول.

انعكس هذا التوحد مع الآلهة في سلوك الناس، فأحبّ بعضهم بعضاً، باعتبارهم وجميع الكائنات صادرون عن إله واحد، وأعرضوا عن ملذات الدنيا، وعاشوا حياة زهد وتقشف، وانتصاراً للضعفاء، يقول «مانو» أحد مشرعي البراهمية: «الأطفال والمسنون والمرضى، يجب أن نعتبرهم سادة العالم الذي نعيش فيه، والمرأة يجب أن تكون موضع احترام خاص. حينما لا نكرم النساء يكون لا جدوى من أفعالنا الخيرة، لا يجوز مطلقاً أن نضرب امرأة ولو بزهرة». (ماريون ١٩٢٧، ١١٨)

من هنا نلحظ أن ثمة تشابهًا بين المسيحية والبراهمية في انتصار كلّ منهما للضعفاء من الناس، كالمرضى

والقراء، واحتقارهم بالمرأة يدل على مستوى رفيع من الحضارة والإنسانية والعدالة، ونلفت الانتباه إلى أن فكرة اتحاد البشر بالله كونهم صادرين عنه يجعلهم يعملون بتسخير تام، فلا إرادة لكتائن هو جزء من إله، وملحق بإرادته.

البودية

أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا (٥٦٠ - ٤٨٠ ق.م.).

استكملت نظام الزهد والتقطف الذي وضعه البراهمية، لكنها ثارت على نظام الطبقات الذي أقرّه النظام البراهيمي، وأقرت نظام الأخوة والمساواة، ومما جاء في تعاليمها: «عيشو مخفين أعمالكم الطيبة معلنين أخطاءكم، أحبوا الناس والكتائن كلها، ليست الولادة من طبقة معينة هي التي تخلق البراهيمي الحق فهذا لا يتعلق بالأم، أنا أسمى براهميا الفقير، والذي هو بريء، يتحمل الإهانات والضرب، ولو بالحديد بصبر وطيبة، والذي لا يضرب حيوانًا ضعيفًا، أو قويًا، والذي لا

يقاوم المعتمدي عليه، والذي لا يحسد حاسديه، كلّ
أولئك هم البراهيميون الحقيقيون بهذا الاسم. (ماريون
(١٩٢٧، ١١٩)

كما علّم تلاميذه تجنب الرذائل لتجد الفضائل
طريقها إليهم، وهي عشر: «الشهوات، المقت، العمى،
الجهل، الادعاء، التعصب، الشك، الإهمال، الخلاعة،
الوقاحة، وبالتالي يتحلى بما هو عكس ذلك. ومن يتصرّ
بقوّة إرادته على نفسه يصبح كالحكيم بوذا، ويستحقّ أن
يكون مظهراً للحلول الإله فيه». (غلاب، ١٩٣٨، ١٤٥)

الفضائل الست التي دعا إليها: (كمال قوة الإرادة،
كمال الإحسان، كمال الخلق، كمال الصبر، كمال
التأمل، كمال الحكمة)، لذا نجد أنَّ الإنسان البوذى ليس
ذاتياً، وإنما هو عضو في تركيب كلي منشغل عن كلّ
الشواغل المادية، يريد الوصول إلى عالم الروح،

وقد استغل بوذا قوة الإرادة لديه في نضاله الداخلي
ضد نوازع النفس....)، وكان شعاره: «إن النفس القوية
هي التي تتحمل أذى الآخرين كما تتحمل الأرض

ما يلقى على ظهرها من خبائث.....الخير والحق سيظهر طريقهما بين أخلاط الطرق الملتوية.....إن من المحتم أن هناك طريقاً للخلاص، من المستحب أن لا توجد هذه الطرق، وسأعرف كيف أبحث عنها، وأسأجد حتماً الوسيلة التي توصل إلى الخلاص من كل الوجود». (غلاب، ١٩٣٨، ١٢٨)

ونلحظ أنَّ ما يميّز البوذية أنها انتصرت لإرادة الإنسان القوية، ولكن في مجال محدد هو تحديه لنوازع نفسه، ورغباتها، وشهواتها، لكنها أقصت حق الإنسان في التمتع بنعم الحياة التي أباحتها معظم الديانات والمذاهب الفكرية الإنسانية، وأنشأت أخلاقاً مبنية على جلد الذات والتسامح والتنازل عن كل حقوق النفس الدينية.

الأخلاق الجينية (اليوجية) : وهي ثورة كالبوذية، أرسى تعاليمها مهاويرا، الذي يرجح أنه عاش في (السادس قبل الميلاد)...وجينيا تعني المنتصر أو قاهر الشهوات، وهي مثل أعلى للزهد والتنسك، وقد اتبعت نظاماً من الرياضيات البدنية والروحية القاسية التي تهدف

إلى شفافية الروح وترقيتها، حتى تصبح أهلاً لأن تتحدد بالآلهة، ونجدها تقترب من الصوفية في هذا الجانب.

وتذهب الجينية إلى الاقتدار على ثمانية أشياء:

التمكن من تلطيف البدن حتى يختفي عن الأعين، التمكن من تخفيفه حتى يستوي عند وطء الشوك والوحل والتراب، التمكن من تعظيمه حتى يراه في صورة هائلة عجيبة، التمكن من الإرادات، التمكن من علم ما يروم، التمكن من الترؤس على أية فرقة طلب، خصوص المرؤوسين وطاعتهم، انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشائعة». (غلاب، ١٩٣٨، ١٦٤)

من هنا نلحظ أنّ الجينية تحلق خارج الواقع الوجودي للإنسان حتى تصل حدّ الأسطرة، كما نلحظ أنّ الفلسفات الهندية متقاربة إلى حدّ ما، من حيث الزهد بالدنيا وقهر الجسد والتوحد مع القوى العليا للكون، بترك شهوات الجسد وإغناه الروح والعقل بالعلم والمعرفة.

«فلسفة» الأخلاق في الثقافة الفارسية (٦٦٠ ق.م)

الزرادشتية: نسبة إلى مؤسسها زرداشت» Zoroaster «ويرجح أنه ولد في (٦٦٠ ق.م) (علي، ١٩٧٠، ج ٦) في أذربيجان شمال إيران.

وتعرف بالمجوسية الزرادشتية وهي إحدى أديان الماجوسية ولم يبقَ غيرها، وهي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية، كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية، وتعود واحدة من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، إذ ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة.

تقوم على مبدأ أنَّ العالم هو أثر لفعل إلهين: (إله الخير، وإله الشر) ويرمز للأول بالنور، والثاني بالظلمة، والصراع بينهما قائم، وأنَّ الصراع الحقيقي هو انتصار الخير على الشر، في داخل النفس أولاً، وبالتالي يُهزم الشر في المجتمع.

ومن الملاحظ أنَّ الأخلاق الزرادشتية أخلاق عملية لم تدع إلى طرح الشهوات، وإماتة الجسد، كالبوذية

والبرهنية والجينية، ولم تطالب بالإعراض عن الدنيا والفناء في الحياة، بل اهتمت بالغرائز البشرية، فأباحت تعدد الزوجات من أجل استمرار النوع البشري، وحرّمت الصوم حتى يكثّر النسل، وأوجبت استغلال كل طاقات الفرد البشري لترقية الحياة وسعادة الأفراد، إن مذهب زراداشت مذهب مشرق منفتح، يربط السعادة بالنشاط والحركة والحرث والنسل، ولا يطيق أبداً الخمول والسلبية والاستسلام للقدر». (غلاب ، ١٩٣٨ ، ٤٤١)

فالزردشتية إذن ديانة تحفي بالإنسان جسداً وروحًا، وتدعوه إلى استنفار طاقاته باتجاه الارتقاء به، إذن هي فلسفة تخدم إلى حدّ ما، التطور المادي للإنسان، وتعزز دوره وإرادته من خلال قيم مسلكية مادية، ولا تطالب بكبح الشهوات أو إماتة الجسد.

المزدكية :

مؤسسها مزدك بن موبذان (٥٢٨ م) الفارسي اعتبرها البعض ردة وانتكاسة أخلاقية وانقلاباً اجتماعياً خطيراً، لأن «مزدك رأى أن الشر البادي في أي

مجتمع إنما مرده أن بعض الناس يمتلكون، وأكثراهم لا يمتلكون، ولا سبيل إلى حل الصراع الاجتماعي إلا بالغاء الملكية الخاصة حتى يصبح المال مشاعاً بين الجميع، وكذلك اختصاص فرد بامرأة بعينها قد يكون لغيره فيها مأرب، مما يتولد عنه الصراع، فإن علاج ذلك يكون بشيوعية النساء أيضاً؛ لهذا كله نادت المزدكية بشيوع المال والنساء». (غلاب ، ١٩٣٨ ، ٢٩٣)

ونلحظ أن هذا بعض ما دعا إليه أفلاطون في مديته الفاضلة، حين ارتأى ضرورة أن يكون المال والنساء مشاعاً، وأضاف على ذلك ملكية الدولة للأولاد، ومسؤوليتها التربوية الكاملة عنهم، ومن هنا جاءت بعض أفكار الشيوعية حول شيوع المال فقط دون النساء، ورغم اعتبار الباحثين أن المزدكية انتكasse أخلاقية، إلا أنها نجدها أعطت دوراً للجهد الإنساني، وحدّت من التطرف الغبي الذي يطبع بالإنسان جسداً ومادة، ويحاول تجريده من صفاته الفطرية، وجعله كائناً روحانياً فقط، مما يتنافى مع الطبيعة البشرية، ويقلل من شأن الإنسان وإرادته في الحياة.

«فلسفة» الأخلاق في الثقافة الصينية (٦٠٠ ق.م.)

الكونفوشيوسية: نسبة إلى كونفوشيوس (٥٥١ ق.م.- ٤٧٩ ق.م.): احتلت فكرة الواجب كل فلسفة الخلقة، فهو في نظره مقدس وعظيم، والواجب يستمد سلطانه من نفسه، وبمقتضى معرفته والإحساس به، تكون أفعالنا صادرة عن وحيه، بحيث لا نفعل إلا ما يقرره، ولا نترك إلا ما يرتبه، وهذا يخالف تماماً الأخلاق عند المصريين والهنود والفرس، لأن أخلاقهم تخضع للعقيدة الدينية، أما عنده فتختضع لصوت الواجب فقط.

«لم تدع إلى إطراح الدنيا ومحاربة الشهوات والفناء في ذات الإله، ولا يمكن أن يتحول الفرد إلى زاهد أو ناسك، بل يجب أن يعمل داخل إطار الجماعة، وحينما يستشعر أن وجوده بينهم لا يتفق مع منحاه الخلقي فعليه حينئذٍ أن يتحمل عبء توجيه السلوك الاجتماعي نحو الطريق الصحيح.» (شبل، ١٩٦٧، ٧٤)

قد تقترب فكرة الواجب الكانطي من الكونفوشية، الذي يستنهض الرازع الداخلي «الضمير» بوصفه معياراً أخلاقياً يدفعه تجاه الخير دون الشرّ، حتى خارج إطار

الجماعة، فهي أخلاق فردية تجعل الفرد يتحمل عبء المسؤولية الخلقية الجماعية بالتجويم، وكأنه يأخذ دور الرسول، إلا أنها لا تشير إلى ما أشار إليه كانت حول القواعد السلوكية باعتبارها قبلية في العقل، الأمر الذي يجعلها تتنافى مع الإرادة.

التاوية : (٤٧٩-٥٥١ ق.م)

وهي من أكبر الديانات الصينية القديمة، وجوهرها العودة إلى الطبيعة الفطرية، والوقوف سلبياً أمام مظاهر الحضارة والمدنية، والتضوف والتخلص من كل ما هو مادي، والخلاص إلى أن الإنسان روح فقط، والغاية هي السير نحو ما رسمته الطبيعة «القانون السماوي»، وجوهر السعادة هو العدل والمساواة والبساطة والاقتراب من الطبيعة.

إذن هي تجريد الإنسان من إرادته تجاه القانون الخلقي الذي يريد هو أن يصنعه، بما يتناسب وضرورة تطوره، ضمن معطيات الطبيعة، «ويمكن لقصة التاوية أن تروى في حلقتين، ويتناول الجزء الأول من القصة، الفلسفة

التي تم تطويرها في العمل الكلاسيكي المعروف باسم «رسالة حول الطريق»، وينظر إلى هذه الفلسفة تقليدياً على أنها فلسفة «لاؤتسو lao tzu». أما الجزء الثاني فيعني بتاوية «شوانج تسو chuang tzu» الذي حدد المضامين الإبستمولوجية والصوفية لهذه الفلسفة».

(كولر، ١٩٩٥، ٣٧٤)

ب- فلسفة الأخلاق في الثقافة الإغريقية (٦٠٠ ق.) :

ظهرت أول ملامح لفلسفة الأخلاق الإغريقية في قصيدي، الإلياذة والأوديسا، للشاعر الإغريقي هو ميروس^(١)، وفيهما فضائل الأخلاق كالشجاعة والوفة والوفاء، وكذلك الشاعر اليوناني «هزيود» Hesiod (٨٤٦ ق.م - ٧٧٧) وهو صاحب ديوان «الأعمال والأيام». والحكماء السبعة الذين جمعوا بين الحكمة العملية والسياسة والتشريع والفلسفة ومنهم: سولون وتاليس وبياتوكوس وبياس....» واهتموا بفلسفة الوجود

(١) هو ميروس: شاعر إغريقي يرجح أنه عاش في ٧٠٠ ق.م، وهو صاحب الملحمتين الشعريتين، «الإلياذة والأوديسا»، وهما اللتان أرّختا لمعركة طروادة.

الخارجي أكثر من السلوك، وكذلك ظهر عمالقة الموروث الفلسفـي الإغريقيـي، مـمن أثـروا فيـ الكـثير منـ الفلـاسـفةـ، والمـذاـهـبـ الفلـاسـفـيـةـ إـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ.

وـمـنـ أـبـرـزـ تـلـكـ المـذاـهـبـ الإـغـرـيقـيـةـ وـأـلـئـكـ الـفـلـاسـفـةـ:

مدرسة السفسطائيـنـ (ـ٥٠٠ـ قـ.ـمـ)ـ:

ظهرت فيـ القرـنـ الـخـامـسـ قـ.ـمـ،ـ عـنـدـمـاـ عـمـّـتـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ فيـ الـبـلـادـ،ـ وـسـادـ حـكـمـ الشـعـبـ بـعـدـ دـحـرـ الـفـرـسـ،ـ وـازـدـادـ شـعـورـ الـفـرـدـ بـذـاتـهـ وـبـدـورـهـ فيـ الـحـيـاةـ،ـ وـبـالـتـالـيـ سـادـتـ النـفـعـيـةـ الـفـرـديـةـ،ـ وـأـصـبـحـتـ الـفـلـاسـفـةـ حـرـفةـ،ـ وـاعـتـمـدـواـ الـحـاسـةـ أـسـاسـاـ لـلـمـعـرـفـةـ،ـ وـبـمـاـ أـنـّـ الـحـاسـةـ تـقـعـ فيـ إـطـارـ الـمـتـغـيرـ الـمـسـتـمـرـ الـذـيـ يـطـرـأـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ حـسـبـ ظـرـوـفـهـ الـمـعـيـشـيـةـ وـالـصـحـيـةـ وـغـيـرـهـاـ،ـ فـقـدـ لـزـمـ عـنـ ذـلـكـ أـنـهـ لـاـ ثـبـاتـ فـيـ الـحـكـمـ عـلـىـ مـاـ هـوـ حـقـّـ أـمـ بـاطـلـ أـمـ خـيـرـ أـمـ شـرـّـ..ـ وـإـنـمـاـ يـتـبـلـوـرـ ذـلـكـ بـشـكـلـ نـسـبـيـ يـتـفـاـوـتـ مـنـ شـخـصـ لـآـخـرـ حـسـبـ زـمـانـهـ وـمـكـانـهـ وـظـرـفـهـ الـعـامـ،ـ وـمـنـ أـبـرـزـ روـادـ هـذـهـ الـمـدـرـسـةـ،ـ «ـبـرـوـتـاغـورـاـسـ»ـ (ـ٤٩٠ـ قـ.ـمـ)ـ وـ«ـغـورـغـيـاسـسـ»ـ وـالـذـيـ تـوـفـيـ ٣٧٥ـ قـ.ـمـ)

يصور طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٤) مرحلة ظهور السفسطائيين على أنّها مرحلة موسومة بالشك في كلّ شيء، في الفلسفة والدين والسياسة، فيقول: «إنّ العقل اليوناني في ذلك العصر كان قد وصل إلى حالة من الشك لم يعرفها من قبل... وحرص على المنفعة الخاصة التي يمكن أن يؤمن بها الفرد حقّاً، لأنّه يحسها ويستمتع بها ويسعى إليها... وفي هذه الحال، نشأت فلسفة السفسطائيين (sophistes) التي كانت في حقيقة الأمر مرآة صادقة للحياة الاجتماعية، والتي كانت تنكر كلّ شيء في نفسه، ولا تعرف إلا بشيء واحد هو المنفعة الفردية». (حسين، ١٩٦٤، ٥٦-٥٧)

وأبرز رموز السوفسطائية:

بروتوغوراس (٤٨٤ - ٤١٠ ق.م)؛
ويجد أنّ رأي كلّ فرد حقّ عنده، بالنسبة إليه «أي للفرد» فحسب.

جورجياس (٣٧٥ - ٤٨٠ ق.م.):

يقوم مذهبه على المكابرة والشك «ما من قضية إلا ولها قضية معارضة لها»، وقد ألف كتاباً باسم «اللاوجود».

ويشير القانون الخلقي الذي وضعه بروتاغوراس، إلى أن القانون من صنع الضعفاء، وأنه وضع للقضاء على الأقوياء، وبالتالي فإن الدولة التي يصنعها ضعفاء هي شر، أما الطبيعة فهي خير، والسير على الطبيعة هو الأساس، لهذا فإن الطبيعة منافية للقانون، والطبيعة هي التي يجب أن تكون المشرع لنا، أما القانون فيجب أن لا تخضع له.

ويرى بروتاغوراس والسفسيطائيون أن الأخلاق نسبية ومتغيرة بتغير الزمان والمكان «بل يرى بروتاغوراس، أن القيم الأخلاقية لمجتمع معين لا تكون صالحة لمجتمع آخر، لأن تلك القيم تعاقدية بين أفراده، فكل مجتمع يسن قوانينه الخاصة به دون مراعاة لقواعد ثابتة ومحددة» (عواجي، ٢٠١٧، ٢٦).

ويرى أن المبادئ الأخلاقية عموماً هي اجتماعية «منشؤها الحس العام، ويستبعد أي قوة خارجية مؤثرة في الاتجاه الأخلاقي للأفراد فهم يدعون إلى الفردية الكاملة، ومن هذا المنطلق دافع عن القوانين والتقاليد في مجتمعه» (عواجي، ٢٠١٧، ٢٧).

فيثاغورس (٤٩٧-٥٨٢ ق.م) :

لم يكن فيثاغورس رياضياً فحسب، بل كان صاحب نزعة فلسفية تصوفية، وقد رأى الخير في انتصار الروح على الجسد، والفضيلة في الإعراض عن الشهوات، أما العفة فهي جهاد بين العقل والغرائز.

وتقوم فلسفته على الاعتدال والشجاعة والإخلاص، وطاعة القانون، ومحاسبة النفس قبل النوم، والزهد والعبادات، وكذلك التزوع إلى التشبه بالله، ومن معاييره الأخلاقية الأساسية العدل، باعتباره أصل الفضائل، ومن أخلاقه أيضاً وجوب الشيوعية في المال.

«نظرية العدل المربع تدل على أن الجانب الرياضي اشتمل على مجال الأخلاق لديه فالعدل جوهر الفضائل

ويرمزون إليه بالتربع الذي هو غاية الدقة الرياضية،
يؤمنون بتناسخ الأرواح، فالنفس تحمل في جسد أقل شأنًا،
تكفيراً عن خطایاه، كما أباحت شيوعية الأموال. (سيد
جيک، ١٩٤٩، ٨٥).

من هنا نستغرب كيف للعقلية الرياضية التي تستند
إلى عنصري التنبؤ والقياس أن تسلّم لمثل هذه الأفكار
البعيدة عن الحقيقة العلمية والمنطقية كتناسخ الأرواح
والتشبه بالآلهة، وأين الإعلاء من شأن الإرادة الإنسانية
القوية إزاء ما أنتجه هذا العقل الجبار من نظريات رياضية
محكمة كنظرية فيتشاغوروس القائمة حتى الآن؟.

هيراقليطس (٤٧٥ - ٥٣٥) ق.م :

من أقدم الفلاسفة وأكثرهم تأثيراً على المذاهب
ال الفكرية الإنسانية القديمة والحديثة، وليس هناك ما يؤكّد
تاريخ ميلاده ووفاته، ويرجح أنه عاش في زمان يقارب
٥٠٠٠ ق.م، وهو من أسرة مالكة، واعتبر فيلسوف
التغيير بلا منازع، وأول من بحث في ميدان الأخلاق،
دون أن يضع لنفسه مذهبًا أخلاقياً محدداً.

تأسست فلسفته الأخلاقية على ضرورة الاحتكام إلى العقل في الأفعال والسلوك دون اتباع عامة الناس كما نادى بالحرية الأخلاقية، وهو صاحب نظرية تفاؤلية للكون والحياة، وقد توصل إلى أنَّ الخير الأسمى ليس إلا الانشراح والسرور، واعتبر أنَّ «جميع الآثام والشرور ليست إلا أوصافاً ظاهيرية تدرك بمعطيات عقولنا القاصرة». (كرم، ١٩٩٧، ٢١)

- وقد اعتقد هيراقلطيس بأربع قواعد أساسية هي: الطاقة، والتغيير، ووحدة الأضداد، وعقل الكل، وقد طبقها على الأخلاق، فإذا سيطر العقل على الطاقة وفق نظام محدد سينشأ عن ذلك خير عظيم، وكذلك يجد في التغيير كل الخير، فالإنسان بطبعه يمل العمل بشيء واحد، والتغيير يحقق الراحة، كما أنَّ الأضداد في حاجة إلى بعضها بعضاً مما يتحقق التوازن في الحياة، فالمرض يشعرنا بأهمية الصحة، والجوع يشعرنا بمعنى الشبع، والشر يجعلنا نفهم قيمة الخير، ويعتبر أنَّ تنازع البقاء ضروري لتمييز الخبيث من الطيب، وضرورة للتطور أيضاً... وفيه تتحقق العدالة، وينفرز البشر بحسب قدراتهم.

وقد كان هيرقلطييس ضد المساواة بين الناس، فهو يرى أن رب رجل صالح خير منآلاف الرجال، وكذلك هو ضد الديمقراطية، ويبرر ذلك بالكثير من الاعتبارات، منها قوله: «إن الفاسدين كثيرون والصالحين قلائل» (ديورانت ١٩٨٨، ١٨٨٤) ويقول أيضاً: «عندى أن رجلاً واحداً خير من عشرةآلاف إذا كان هو أحسنهم» (ديورانت ١٩٨٨، ١٨٨٤).

وقد كان يتوق كما يتوق معظم الفلاسفة للكشف عن الواحد المستتر وراء الكثرة، وعن وحدة ثبت العقول، ونظام يبين ما في العالم من زحام وفوضى وكثرة، وقد قال في هذا المعنى: «إن الأشياء كلها وحدة؛ والمشكلة التي تواجهها الفلسفة هي أن تعرف ما هي هذه الوحدة، وقد أجاب هرقلطييس عن هذا السؤال بأنها هي النار... وأكبر الظن أنه كان يقصد به الطاقة.» (ديورانت ١٩٨٨، ١٨٨٤،

وربما كان يجمع بين النار والنفس والله في معنى واحد، يقول: «إن هذا العالم لم يصنعه إله ولا إنسان، ولكنه كان منذ الأزل، وهو كائن وسيكون ناراً حية أزلية،

تُوقَد بقدر، وتنطَفِئ بقدر» (ديورانت ١٩٨٨، ١٨٨٤)، وهو أول من وضع مفهوم اللوغوس^(١)، وهو مصطلح يوناني معناه الكلمة أو العقل أو القانون، وله استعمالات شتّى في المجال الفلسفي والديني، ويعدّ هيرقلطيّس أول من قال به في معنى القانون الكلّي المنظّم للكون

(١) اللوغوس Logos لفظ يوناني يعني الكلمة أو العقل أو القانون، وهو مصطلح شائع الاستعمال في الأديبّات الفلسفية والدينية، فهو عند أفلاطون وأرسطو قانون الوجود وأحد المبادئ المنشطة، وعند الرواقيين قانون العالمين الطبيعي والروحي في إطار وحدة الوجود، وقد كان أول من استخدم مفهوم اللوغوس في الفلسفة اليونانية هيرقلطيّس، وعده فيلون اليهودي أولى القوى الصادرة عن الله أو المولود الأول للإله، وجعله محل الصور والتّمذّج الأول لكل الأشياء وحضر دوره في الوساطة بين الإنسان وربه، وفهمه القدس يوحّنا على آنة المسيح فاستخدمه في معنى الكلمة الخالقة والصورة التي يتجلّى عليها الله، وانطلق آباء الكنيسة الأوائل، أمثال كليمونت السكندراني وأوريجين..، من هذا الفهم في محاولة للتوفيق بين الفلسفة اليونانية والعقيدة المسيحية بقولهم إن اللوغوس هو مصدر كلّيّهما والمنهّل الوحيد للحقيقة، وهو المعنى الذي استلهمته الكنيسة عبر مجتمعها وذبّحت فيه إلى حد القول بالتساوي بين الله والابن الذي هو الكلمة أو اللوغوس فحملت اللفظ أبعاداً دينية استشرّطها خاصة رجال التصوّف بعد أن تقلّص توظيفه فلسفياً أما هيرقلطيّس في فلسفته عن التغيير والصيروحة، فقد جعل اللوغوس المنظّم لكل الأشياء والأساس والمبدأ الذي تتم به عملية التغيير والسيلان. (انظر: الموسوعة العربية- الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد: المجلد السابع عشر رقم الصفحة ضمن المجلد ١٨٢).

والأساس الذي به يقع التحول أو التغيير في الأشياء، وبه تشيع الحياة وتنظم المادة، ويسير عليه الوجود في تغيره من ضد إلى ضد، وهو بالنسبة له النار.

ومما يضيق هرقليطس في النار الخالدة أنها تتبدل تبلاً لا يقف عند حد، وإن كان يجد فيها ثباتاً يخفف عنه ما يسببه هذا التبدل من ضيق؛ والمحور الثاني الذي يدور حوله تفكيره هو أبدية «هذا التبدل ووجوده في كل شيء، فهو لا يجد قط شيئاً جاماً في الكون أو في العقل أو في النفس؛ فلامشيء كائن بل في تغير مستمر.

إذن هو يؤمن بالتغيير الدائم، ويؤمن بحركة الكون فلا شيء ثابت، بل في صيورة دائمة، ويشار إلى تأثير كل من الماركسية والهيغيلية بهذا المبدأ، «فقد استغل هيجل الصيورة عند هرقليطس استغلالاً تاماً، وقد تمثل هذا في ثورته على المنطق الاستاتيكي القديم وفي وضعه لمنطق حركي يعتبر الوجود مجالاً للحركة الدائمة وللتغيير المستمر الذي يبني في حقيقته على الانتقال من الوجود إلى اللاوجود» (النشراء، ١٩٦٩، ٣٦٤)

«إنك لن تستطيع أن تخوض في النهر الواحد مرتين» (النشار، ١٩٦٩، ٤٠٩)، بمعنى أنّ مياهه ستكون قد تغيرت لأنها في جريان دائم، وهكذا جريان الحياة بأحداثها وظروفها متغيرة لا تقف عند حدّ.

- وكذلك كان تأثر الماركسية إذ «إن الحركة الدائمة التي تمثل في الصيرورة التي لا تقطع مستمدّة من صيرورة هيراقليطس، والقانون الأول في المادية الجدلية وهو قانون وحدة الأضداد وصراعها يرجع إلى فكرة الصراع عند هيراقليطيس» (النشار، ٣٦٤، ١٩٦٩).

- «إن موقف كارل ماركس وفلسفته المادية إنما يعد الصورة المحدثة لفلسفة هيراقليطيس، فقوانين المادية الجدلية عند ماركس هي تعبير كامل مفصل عن صفات الصيرورة عند هيراقليطيس». (النشار، ٤٠٩، ١٩٦٩).

ديمокريطس (٤٧٠ - ٣٦١ ق.م.):

هو صاحب فلسفة «الذرة» التي لا تقرّ في الوجود إلا ما هو مادي، وعلى هذا فلا مطمع للإنسان في الأشياء غير المنظورة، وعليه أن ينظر للأشياء نظرة نفعية، فالخير هو ما يجري نفعاً ولذة، والشرّ ما يجرّ ألمًا، إنه يرى أنّ الخير الأسمى يكون في السرور والانشراح، ومرجع ذلك إلى اعتدال العقل والمزاج لذاتهما، فالأخلاقيات عنده تقوم على الأنانية والأثرة والمادية، وإذا كان للعقل دور عنده فهو مقصور على اختيار أفضل اللذات، ومن أقواله: «إن ارتكاب الظلم أسوأ من احتماله» (كرم، ١٩٩٧، ٢٣).

ونلحظ هنا أنّ المدرسة النفعية تقترب في فلسفتها الأخلاقية من فلسفة ديمокريطس، فالفكرة الصائبة هي الفكرة النافعة، والفكرة الخاطئة هي التي لا تجلب المنفعة، وبالتالي سنجد أن المدارس الفلسفية الحديثة قد نهلت من الفلسفات القديمة الشيء الكثير مع اشتغالها على التعديل والتطوير بما يتناسب والحاجة والضرورة الإنسانية للتطور.

سقراط (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م):

عاش سقراط ما يقارب ٧٠ عاماً، وهو يمثل نقطة البدء للفلسفة الأخلاقية اليونانية، إذ أنه نفر من دراسة الطبيعة المادية، وانشغل بدراسة مشكلات الإنسان ولا سيما الأخلاقية، ويرى الدكتور إمام عبد الفتاح إمام (١٩٣٤م) أن سقراط «اعتمد المنهج الجدلية، وأنه «تلمس المعرفة عن طريق السؤال والجواب، وقد عارض ما أفسده السفسطائيون، فالحقيقة عنده ثابتة، وما يتغير هو الباطل، وسقراط يبحث عن العلم اليقيني والحقيقة الثابتة - مثلاً يقول: إذا سألك أحد هل العشرة ضعف الخمسة - هل ستخبره بإجابات تختلف باختلاف الأحوال؟» (إمام، ١٩٣٤، ص ٧٧).

وقد استغرب هذا الرأي باعتبار أن الجدلية تعتمد التحول والتغيير، وعدم الثبات باتجاه البحث عن الحقيقة، وإذا التمس سقراط المعرفة عن طريق السؤال والجواب، ونادى بضرورة الثبات في الإجابة، فهذا يتعارض مع مبدأ الديالكتيك^(١).

(١) الجدلية أو ديداكتيك في الفلسفة الكلاسيكية، الديالكتيك اليونانية: هو الجدل أو المحاورة: تبادل الحجاج والجدال بين طرفين دفاعاً

بحث سقراط عن التعريفات اليقينية للمفاهيم الأخلاقية الثابتة: التقوى، والشجاعة، والخير، والعدالة، والفضيلة، إذ اعتبر بحق مؤسس علم الأخلاق «Ethics» بمعناه الدقيق، ذلك أنّ فلسفة الأخلاق تسعى إلى الوصول إلى المبادئ الأولى التي تظل ثابتة مهما تغيرت الظروف، وتبينت المجتمعات، أو أنها تسعى إلى المبادئ المطلقة التي يقيم عليها أي مجتمع بشري أخلاقياته، ما يدرس علم الأخلاق حسب المجتمع والزمان والمكان هو علم الاجتماع. (إمام، ١٩٨٥، ٧٨).

ونلحظ هنا تأثر كانت برأي سقراط، عند إطلاقه لمبدأ الأسس الأخلاقية القبلية في العقل، والتي لا تتغير باختلاف الزمان والمكان.

عن وجهة نظر معينة، ويكون ذلك تحت لواء المتنطق. ويعتبر الديالكتيك الأساس الذي تبني عليه الشيوعية بمعنى الجدل الذي يوصل إلى النظريات والقواعد التي تحكم الناس وتسير حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والمادية الديالكتيكية هي النظرة العالمية للحزب марكسي الليبي. وهي تدعى مادية ديالكتية لأن نبجها للظواهر الطبيعية، أسلوبها في دراسة هذه الظواهر وفهمها ديالكتكي بينما تفسيرها للظواهر الطبيعية. وفكرة عن هذه الظواهر ونظريتها مادية.

كما أنّ سocrates قد عارض السفسطائيين في قضية المعرفة عن طريق الحسّ، وأقام بناء فلسفياً متكاملاً في الميتافيزيقيا، والأخلاق، والمعرفة، كما فصل بين العقل والحسّ، وعمل على تحليل الألفاظ لتحديد معانيها، وإيضاح دلالتها، وبالتالي فوت على السفسطائيين فرصة التلاعب بمعاني الألفاظ.

لذا تبرز أهمية سocrates، في كون الفلسفة تقسم إلى ما قبله، وإلى ما بعده كما فعل كانط.

ويرى سocrates أنّ الإنسان خيرٌ بطبيعة، وأنّ الشرّ طارئ عليه، ويأتي الشرّ من الجهل بحقائق الأشياء الفاضلة، وهنا يوحّد بين العلم (المعرفة) والفضيلة، ويختلف «سانتهلير»^(١) مع هذا المعنى لدى سocrates فيقول: «ليس ما يقع فيه الإنسان من الإثم ناشئًا عن خطأ في الموازنة بين اللذة الحاضرة وبين آلام المستقبل التي هي أكبر منها، كما يعتقد سocrates، ولا ناشئًا عن جهل بطبع الأشياء، وإنما منشؤه فساد في الخلق يحمل الإنسان على تفضيل

(١) بارتلumi سانتهلير: (١٨٠٥ - ١٨٩٥ م) هو فيلسوف، سياسي، صحفي، ومستشرق فرنسي. له تأليف في أديان الشرق حيث كتب عن دين بوذا الهندي (١٨٥٩ م)، وعن محمد والقرآن (١٨٦٥ م).

الشرّ على الخير، وهو عالم بهما، وبقيمة كليهما جمِيعاً،
وحيثُنَدْ بهذه المثابة لا تكون الفضيلة والعلم متماثلين،
فقد يعلم الإنسان ولا يعمل وقد يعمل ضدّ ما يعلم». .
(سانتهلير، ٢٠٠٧، ص٤٩).

أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)

هو تلميذ سocrates وأستاذ أرسطو، أخذ تناصح الأرواح عن الفياغورية، وثبت الحقائق عن سocrates، صدم بإعدام سocrates، وتساءل: هل الذين أعدموه شرفاء؟، من هنا بدأ بالربط بين علم الأخلاق والسياسة، وتحدد الخطوط العامة لنظريته الأخلاقية في كلّ من: نقهه للأخلاق السفسطائية، وتفسيره للخير الأقصى، وفكرته عن الفضائل والأنفس، ومن ثمّ أخلاق الدولة، ويرى أن «الفضيلة لا تتحقق بعمل فاضل واحد، ولكن تكون حقيقة ينبغي أن تكون نتيجة لماضي عملي طويل». (أرسطو، ١٩٢٤، ٥١)

كما ميّز في دراسته للأخلاق بين قوى النفس الثلاث:
(الفضبية وفضيلتها الشجاعة، الشهوانية وفضيلتها

العفة، المدركة (العقل) وفضيلتها الحكمة)، ويرى أنّ في اعتدال القوى الثلاث السابقة تنشأ كلّ فضيلة، فيبين الجبن والتهور تنشأ الشجاعة، وبين إماتة الشهوة وإطلاقها تنشأ العفة.

وقد اختلف مع أستاذه سocrates في أنّ الفضيلة هي العلم، فهو يرى أنّ العلم ينتقل من عقل إلى عقل عن طريق الأدلة والبراهين، أما الفضيلة فلا تنتقل، وإنما هي إلهام وبصيرة يشوبها تحسّس عاطفي ديني.

كما يربط أفلاطون بين النظرية الأخلاقية والمعرفة بالوجود، فإذا كان الوجود الحقيقي هو الوجود المثالي المفارق للمادة «نظرية المثل»^(١)، وهذا الوجود هو

(١) نظرية المثل: نظرية أتى بها الفيلسوف أفلاطون، ويعني بها عالم ما قبل العالم الحسي أو المادي، يكون فيه الإنسان على علم بجميع العلوم والخفايا، وعند ذهابه إلى العالم الحسي (أي حينما يولد في العالم الواقعي) يكون قد نسي كل هذه العلوم، وما عليه إلا أن يتذكرها في العالم الحسي. وفيها قسم أفلاطون الكون إلى عالم مثالي كامل من صنع الله يتضمن حقائق مطلقة لا يمكن لمسها في الواقع (غيبية ميتافيزيقية)، وعالم محسوس طبيعي مادي (فيزيقي) هو عالم الموجودات والذي هو ظلّ أو صورة متنقلة عن عالم المثل، وقد ارتأى أن العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه

موضوع المعرفة، وأن إدراكه يكون بنوع من الحدس العقلي، والإلهام البصيري فإن الإنسان الفاضل الخير هو الذي يتخذ من المثال هدفًا له في سلوكه.

«هناك مثل أخلاقية: (العدالة والخير والجمال)، وليس هناك فحسب مثل للذاتيات الأخلاقية الممتازة مثل: الجمال والعدالة، بل توجد أيضاً مثل للقبح والظلم، وقد نفى سقراط أن تكون هناك مثل للأشياء الوضيعة» (ستيس، ٢٠٠٥، ١٣٢)، فالخير المطلق يكون بالجمع بين اللذة والعلم، والسعادة الحقيقية لا تتوافق إلا للفضلاء، والسعادة في الدنيا لا تكون إلا للفضلاء، وفي الآخرة تكون حين يحصل الفاضل جزاء عمله، ويعتبر أن الإيمان بخلود الروح والحياة الآخرة من أسس تدعيم الأخلاق وتحقيق السعادة القصوى.

ربط أفلاطون بين الأخلاق والسياسة، واعتبر أن الدولة هي الفرد في صورة أكبر، وبالتالي ارتأى أن كل تصرفات الأفراد تعكس على الدولة بخيرها وشرها،

ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة (imitation) له وصورة عنه فقط.

فالحاكم والمحكوم سيان إلا بظروف معينة، يستثنى الحاكم بما تقتضيه مصلحة الدولة، واشترط ضرورة أن يكون الحاكم فيلسوفاً، لأنه قادر على قيادة الناس إلى الخير؛ لذا نجده يقول: «لا يمكن زوال تعاسة الدولة ما لم يملك الفلاسفة، أو يتفلسف الملوك والحكام فلسفه صحيحة تامة، أي ما لم تتحدد القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد». (نصار، ١٩٨٢، ٣٢٦).

وهنا نجد أنّ أفلاطون ورغم مثاليته وإيعازه الخير عالم المثل فإنه يتصرّ للفرد القوي، كما أنه يمجّد الحرب في سبيل الخروج بنخبة من البشر.

– المدرسة الكلبية: أسسها «انتستين» (٤٤ - ٤٦٥ ق.م) تلميذ سocrates، وقد كان يجتمع بتلاميذه في مكان يسمى الكلب السريع، وقد تميّزوا بغرابة الأطوار، أعجب «انتستين» بزهد سocrates في ملذات الدنيا، لكنه لم يكن وفياً لتعاليمه، ففصل الأخلاق عما بعد عن الطبيعة، والفضيلة عن العلم». (كرم، ١٩٩٧، ٢١٢).

تقوم فلسفتهم على احتقار كلّ الخيرات الخارجية، فهي صراع ضدّ اللذات، واحتقار للعيش وال العلاقات

الاجتماعية، يظهرون بمظهر رثّ، ويتطفلون على المجالس، ويرضون من مظاهر الحياة بالقليل كالكلاب، يدّعون أنَّ الإله «زوس» كلفهم بمراقبة عيوب الناس، والتشهير بهم، وكانوا يشَّهُون أنفسهم بالكلاب التي تحرس البيوت والحقول، فالناس جميعاً أشرار، وهم وحدهم كحراس الفضائل، يتمتعون بالعجب بأنفسهم والكبر.

«كان ظهور الكلبيين ممهداً لظهور الرواقين، لأنَّ الكلبيين يعتبرون الصلة بين سقراط من جهة، وبين الرواقين من جهة أخرى، فالرواقيون أخذوا تعاليم الكلبيين ومبادئهم، ورفضوا منها ما يؤلم الذوق العام». (موسى، ١٩٥٣، ص ١١٦).

ونجدهم يقتربون من اليهودية في التقوّع على الذات، وافتراض أخلاق عنصرية، والإعجاب بالذات واحتقار الآخر، ونتساءل فيما إذا كان هذا يدفع بالإرادة الإنسانية نحو التطور، من أجل الخروج بإنسان قوي من خاللهم، أم أنها مجرد حركة تسعى إلى التميّز من خلال الشذوذ والعنصرية.

القورينائيون: زعيمهم هو «أرستيب القورينائي» (٤٣٥-٣٦٦ ق.م)، وقد كان تلميذاً لسقراط، تقوم نظرتهم إلى الأخلاق على اعتبار أن اللذة هي مقياس الخير والشر، يدعون أن ذلك هو صوت الطبيعة، وما يضنه الناس من قيود للسلوك إنما هو مخالف للطبيعة، أفضل لذة بالنسبة لهم هي الحاضرة، أما انتظار لذة في المستقبل فهو أمر يجلب القلق.

«وقد استوقف هذا المذهب كثيراً من الباحثين قديماً وحديثاً؛ لما فيه من خطورة على الإنسان، وعلى قيمه العليا». (بدوي، ١٩٧٥، ٢٤٢).

من هنا نلاحظ أنها فلسفة متناقضة إلى حدّ ما، فقد انتقلت من موقع تمجيد اللذة إلى نفيها كلياً، بحججة أنها تتبع الألم، وأن الحكمة في الألم لا في اللذة ذاتها؛ مما يدفع باتجاه طلب الموت كشفاء ضروري من الألم.

أرسطوطاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)

يعتبر أرسطو أنّ الفضيلة ليست انفعالاً، ولا قوة طبيعية، وإنما هي عادة خلقية مكتسبة، أو هي طريقة

لسلوك الإنسان وتصرفه عندما تتناوله هذه الانفعالات، فالفضيلة إذن ليست موجودة فينا بالطبيعة، وإنما هي عادة مكتسبة للسلوك الحسن، ووجودها يتطلب شرطين: (التعود على ممارستها، والإرادة القوية)، فالأفعال الفاضلة هي التي تكون صادرة من باطن الفاعل، وليس من خارجه، أي بقوة خارجية، والفضائل الأخلاقية لا تسمى فضائل أخلاقية إلا إذا كانت عادات مستمرة، وكما أنّ ظهور خطاف واحد لا يدل على بدء الريبع، فإنه لا يكون الإنسان كريماً لأنّه أتى الكرم مرة واحدة، فالإنسان كريم إذا كانت عنده عادة الكرم، وسكيث إذا كان مدمّناً». (كرسون، ١٩٤٦، ٥٣).

لم يكن لدى أرسطو نزعة زهد أو تصوف، ولم يسرف في اللذات الرخيصة، ولم يحتقر العالم الدنيوي ويمجد العالم الآخر هروباً من هذه الحياة كما فعل أستاذه، بل إنّ الحياة الفاضلة لديه لا تكون إلا حيث يكون الإنسان مقيماً في صميم الحياة الواقعية، راسماً لنفسه غاية محددة يتطلع إليها، واضعاً أحسن الوسائل لتحقيقها.

«وَجَمِيعِ الْفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ لَا تَعْدُ أَنْ تَكُونَ أَوْسَاطَ الْأَمْوَرِ، فَفِي كُلِّ حَالَةٍ مِّنْ أَحْوَالِ الْحَيَاةِ جَانِبٌ إِفْرَاطٌ يُجَبِّ تَحَاشِيهِ، وَجَانِبٌ تَفْرِيظٌ يُجَبِّ اتِّقاؤِهِ، وَالْفَضْيَلَةُ هِيَ التَّوْسِطُ بَيْنَهُمَا». (كِرْسُون، ١٩٤٦، ٥٣).

يقول أرسطو: «إِنَّ الْإِفْرَاطَ بِالْأَكْثَرِ خَطِيَّةٌ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْأَقْلَى مَذْمُومٌ، وَالْوَسْطُ وَحْدَهُ هُوَ الْحَقِيقُ بِالشَّيْءِ». (أَرْسَطُو، ١٩٢٤، ٢٤٦).

إن أرسطو قصر السعادة الالزمه عن فعل الخيرات على الحياة الدنيا فقط، إذ لم يصح لديه خلود الروح، أو القول بحياة أخرى، ولعل دراسته للطبيعة في مظاهرها المادي هو الذي أوحى إليه بذلك.

ونجد أنّ أرسطو قد زاوج بين متطلبات الجسد والروح كشرط لتحقيق السعادة، فالخير الأسمى مقتربن بتحقيق اللذة للجسد، والمال والجاه شرطان لتحقيق لذة خارجية ليست أساسية في الحياة، لكنه اشترط التأمل والتفكير والاقتراب من الآلهة، وركّز كذلك على الإرادة القوية عند الإنسان لتحقيق الفضائل، فالداعم الداخلي

في نظره أكثر قدرة على التأثير في السلوك من المكتسب
الخارجي.

وهنا أخلص إلى رأي أدلى به ستيس الذي اعتبر أن
أرسطو من دعاة حرية الإرادة وهو يعرض على سقراط،
فعد سقراط من يفكر بسداد يجب بالضرورة أن يسلك
سداد، وإذا لم يستطع أن يختار الشر، فإنه لا يستطيع أن
يختار الخير؛ لأن الإنسان ذا التفكير السديد لا يفعل
السداد بالإرادة بل بالضرورة، ويؤمن أرسسطو - بالعكس
- أن الإنسان له حرية اختيار الخير والشر، ومذهب
سقراط يجعل كلّ الأفعال غير إرادية، ولكن رأي أرسسطو
أنّ الأفعال التي تؤدي تحت الإرغام غير إرادية. (ستيس،
٢٠٠٥، ٢٠٦).

الأبيقوريون: مؤسسها «أبيقرون» (٣٤١ ق.م - ٢٧٠ ق.م)؛
يقوم مبدأها الأخلاقي على حساب اللذات،
فالفضيلة لا قيمة لها في ذاتها، بل تستمد قيمتها من اللذة.
فالخير المطلق هو اللذة، والشرّ المحسّن هو الألم،
وبالنظر إلى هاتين القضيتين يتحدد معنى السعادة، «فهي

لا تعدو أن تكون الحصول على اللذات والابتعاد عن الآلام، من هنا يتحدد عمل الأخلاقي فهو تعليمبني البشر فن الحصول على اللذة وتحاشي الألم». (كرسون، ١٩٤٦، ٥٦).

الرواقيون: أسسها «زينون الرواقي» (٤٣٢ - ٢٧٠ ق.م)؛ تبنت الرواقية قاعدة «عش وفق الطبيعة»، وقامت فلسفتها على مبدأين: «أولاً: أن الكون محكوم بقانون مطلق لا يسمح بأي استثناء، ثانياً: أن الطبيعة الجوهرية للإنسان هي العقل». (ستيس، ٢٠٠٥، ٢٢٣)

وهذا يعني أن الناس يجب أن يتطابقوا مع الطبيعة بالمعنى الواسع، أي مع قوانين الكون من جهة، وأن يطابقوا أفعالهم مع الطبيعة بالمعنى الضيق حسب طبيعتهم الجوهرية، أي العقل من جهة أخرى، وبالتالي فإن العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا، وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد، وهكذا نرى أن الرواقية تحتكم إلى قوانين الطبيعة بطريقة تبني عنصر الإرادة الإنسانية نهائياً.

الأفلاطونية المحدثة «أفلاطين» (٢٧٠-٢٠٥ م) :

نشأت الأفلاطونية المحدثة عن امتصاص فلسفة الشرق بالفلسفة اليونانية، حيث اختلطت التراثة العقلانية لدى اليونانيين بفلسفة الزهد والتصوف لدى الشرقيين، وذلك بعد فتوحات الإسكندر المقدوني، أسسها أ蒙يونوس ساكس Ammonius Saccas «...-٢٤١ م»، ثم أفلاطين المصري Ploton «٢٧٠-٢٠٥ م» الذي رأى أن جميع العوالم صدرت عن الله عن طريق الفيض، كما يفيض النور عن الشمس من غير أن ينقص ذلك من الشمس شيئاً، وبما أن النفوس فاضت عن الله فهي تشتهي إليه دائماً، وتسعى للاتصال به بالتأمل والتفكير والغياب عن العالم المحسوس، وانعكس ذلك على النظرية الأخلاقية التي قامت على التصوف، لا على البحوث العقلية المجردة.

«في تقييم أفلاطين للأصل الشرّ، نلتقي بنظريتين في العدالة الإلهية تختلفان في مبادئهما أشدّ الاختلاف، الشرّ في أولاهما هو المادة والمحسوس انعكاس في انعكاس، ويكون الإفلات من إساره بالرجوع إلى الوجود فوق

المحسوس، (برهيه، ١٩٨٢، ٢٥٧)، بمعنى أن الشرّ يتأتى من الحياة الدنيا ومحفوياتها المادية، والتخلص من هذا الشرّ يكون بالتخلص من التعلق بتلك الماديات، والتطلع نحو العالم الفوقي، أما الثانية فاللوغوس أو العقل مبدأ التناغم يحكم العالم، ولكلّ موجود في العالم مكان ودور يضمنان له التناغم مع الكلّ، وهو ينفع أو يستقبل كلّ ما هو لائق ومناسب بهذه الصفة، والعذاب الذي يكابده قد يكون شرّاً له في حال النظر إليه على حدة وبمعزل عن كلّ ما عداه، لكنه ليس بشر بالنسبة إلى الكون» (برهيه، ١٩٨٢، ٢٥٧)،

بمعنى أنّ كلّ موجود في الكون له دوره ووضعه المناسب والمتناجم مع باقي الموجودات، وأن الشرّ الذي قد يصيبه سيكون شرّاً إذا نظرنا إليه بمعزل عن باقي الموجودات التي يسير بركبها، لكنه ليس شرّاً بالنسبة إلى الكون بأسره، وبوصفه جزءاً من هذا الكون وكأنّه يريد القول بأنّ قيمتي الشر والخير تحسّبان بصورة جماعية لا فردية، فالشر الذي يصيب فرداً قد يكون خيراً في إطار المجموع.

وفي قضية العدالة نجد أنّ أفلوطين يعتبرها إلهية، ومن هنا نلحظ قضيتين غريبتين، « فمن جهة أولى: نظرية في العدالة الإلهية، متشائمة، لا تقبل بدواء للشر غير الهرب خارج العالم، إلى الوجود فوق المحسوس، ومن الجهة الثانية: نظرية في العدالة الإلهية، تقدمية ومتفائلة، تقبل بالدواء الذي قال به الرواقيون: التصديق الإرادي^(١)، لكنهما متناقضتان، قبح المحسوس الزائل المتلاشي اللامتعّن، وجمال الكون المنظم المتناغم المضبوط بنواميس أبدية.» (برهيبة، ١٩٨٢، ٢٥٧).

(١) التصديق الإرادي: فكرة أنّ التصديق حرّ في العقيدة الرواقية في المقام الأول، وهناك بالفعل وفرة من النصوص الرواقية التي تقول إنّ التصديق يكون إراديّاً أو خاضعاً لسيطرتنا، لكن هناك نصوص تقول أيضاً إن بعض الانطباعات على الأقل تفرض الاعتقاد. يقولون إن الانطباع الحسيّ يدفعنا مرغمين للتصديق في صورة أخرى، يستسلم العقل لما هو واضح كما يميل الميزان للنقل يبقى في هذه الحالات إراديّاً لا على ما يبدو كل ما يعنيه أنه إراديّ هو أنه يعود إلى حكمي، وبالتالي لي، إذا كنت أصدق أم لا. (مايلز فريدرريك بورنست، بحث في أثر الفكرة على نفس صاحبها، موقع المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية).

الفصل الرابع

فلسفة الأخلاق في العصر الحديث (أنماذج مختارة)

108

فلسفة الأخلاق في العصر الحديث

(أنماذج مختارة)

ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠ م) :

يرى ديكارت أن العقل هو الإلهام أو الحدس المباشر الذي يدرك به الإنسان الحق من الباطل، والذي يتأنى للإنسان عند إيمانه بالقوة العليا المدركة، وفي حين أن المبدأ الرواقي يقول: "اتبع الطبيعة"، فإن ديكارت يقول: "اتبع العقل الحق"، وهذا الفرق شكلي، باعتبار أن الطبيعة بالنسبة للرواقيين: هي مجموعة القوانين التي تسير الكون وهي الله.

وقد دعا ديكارت إلى ترويض الشهوات وسيطرة العقل عليها بالعلم والمعرفة، متأثراً بسقراط الذي جعل العلم أساس الفضائل، كما أبعد موضوع الأخلاق عن مجال الشك كونها أثراً من آثار الدين، والدين لديه فوق الشك، "إلا أنه اعتبر الإرادة هي التي تحملنا على فعل الخير، فهو يجعل من الحاسة الخلقية "الضمير" رقيباً على تصرفات الإنسان على أن تهتمي الإرادة بالعقل في التمييز بين الخير والشر". (موسى، ١٩٤٣، ٢٣١).

من هنا نجد أن ديكارت عندما آثر هذا الاتجاه، إنما أراد الرجوع بالعقل إلى طبيعته، وإذا تقرر في نظر كل ذي عقل أن الدين الصحيح يلتقي مع العقل الفطري الخالص، على اعتبار أن تكاليف الدين إنما تؤسس على هذا العقل، من هنا نجد أن الإرادة التي اشترطها عادت واقترن بقيود الدين.

مالبرانش (١٦٣٨ - ١٧١٥ م) :

هو تلميذ ديكارت، فقد شاركه فكرة تأسيس الأخلاق على العقل الفطري، وزاد عليه في ربط الأخلاق العملية بالدين، وقرر أن ما تعانبه الأخلاق العملية من ضعف هو بسبب تقصير علماء اللاهوت.

يقول عن الأخلاق: "هذا العلم حتى الآن بعيد عن الكمال بعداً كبيراً، ويرجع هذا بعد إلى العلماء اللاهوتيين والوعاظ ورجال الدين". (موسى، ١٩٤٣، ص ٢٣٧).

يلخص مذهب "مالبرانش" الأخلاقي بأنه مزيج من الفلسفة العقلية والمبادئ الصوفية، كما أن له صلة

بعلمي النفس وال التربية، وهذا تطور يضاف إلى ما قال به أستاذه "ديكارت" ، إضافة إلى أنه كان أكثر تشدداً منه، ففي حين طالب ديكارت بالموازنة بين مطالب العقل والغريزة، طالب مالبرانش بإماتة الشهوات، لأنّ في ذلك خلوصاً إلى عالم العقل والروح والفضيلة.

اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) :

تأثر بديكارت في تأسيس الأخلاق على العقل، وطوره عنه في كتابه "علم الأخلاق" بنهجه منهجاً رياضياً صارماً، عالج فيه مشاكل الأخلاق _ كما يراها _ بتحديد قضاياها، والمراد في كلّ منها في نظره، ثم تقييم الأدلة على صدق ما ذهب إليه.

"يرى أنّ الاطمئنان النفسي يحدث من سيطرة العقل على قوى النفس حتى يعيش الإنسان في سلام دائم، وهنا يرى أنّ السعادة الحقيقية إنما تكون في قدرة الإنسان على تحقيق الانسجام بين مطالبه كلها، فهو لا يدعو للزهد وطرح الشهوات، بل يرى أنّ من حق الإنسان التمتع بطيبات الحياة شريطة الاعتدال، وهنا

يربط بين قوة البدن وقوة العقل برباط قوي، وهو يرفض الفضائل العابسة التي تسعى إلى إذلال البدن ومحاربة الشهوات. " (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦١).

أقرّ نسبيّة الأخلاق، حيث قال في كتابه "علم الأخلاق": " فيما يتعلق بالخير والشرّ هذان لفظان لا يدلان على شيء إيجابي في الأشياء ذاتها، وما هما إلا حالان من أحوال الفكر أو تصوران نكونهما من مقارنة الأشياء بعضها ببعض، لأنّ الشيء الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد خيراً وشراً على السواء، فالموسيقى مثلاً خير لإنسان حزين، وشرّ لإنسان في حداد، وليس خيراً ولا شراً بالنسبة لإنسان أصم". (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦٣).

ونجد أنّ فكرة الاتحاد بالله بالنسبة له تعني خلود النفس، وغاية الغايات، وقمة السعادة، وتحرّر الإنسان من كلّ الروابط المادية، وهذا برأيي يقترب من الصوفية الإسلامية، ويعتبر أنه: "إذا كان الإنسان جزءاً من الطبيعة، وإذا كانت الطبيعة تحكمها قوانين كلية، فإنّ الإنسان لابد أن تحكمه قوانين أيضاً، وبالتالي تكون

حرية الإرادة وهمًا، هكذا يظهر اسبينوزا حتميًّا صارمًا، ويعتبر الحرية لغواً لا معنى له." (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦٤).

كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

رفض كانط ربط الأخلاق بنتائج الأفعال من لذات وألم ومنافع ومضار، وجعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها، وليس في الغايات التي تقوم خارجها، وبالتالي كان مذهبـه في الواجب لا في الخير الذي يصيب صاحبه أو غيره من الناس.

ذلك لأنَّ كانط أراد أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود هذه الميول والأهواء، حتى تكون قيمته باطنية مطلقة، وبهذا تستبعد اللذة والمنفعة كغاية قصوى لأفعال الإنسان الإرادية، فالباعث على فعل الواجب لا يقوم قطًّ في الرغبة في تحقيق غاية، بل الباعث لديه يقوم في الإرادة نفسها، "من بين الأمور التي يمكن تصوّرها في هذا العالم، أو خارجه هي أنه لا يوجد ما يمكن عدّه خيراً على وجه الإطلاق، ودون قيد، اللَّهم شيء واحد هو: الإرادة الخيرة." (كانط، ٢٠٠٢، ٣٧).

ويعني في ذلك أن الإرادة الخيرة هي الدافع الأساسي وراء كل فعل أخلاقي بوصفها المبدأ الأخلاقي الوحيد وراء ذلك الفعل، أي أن أي فعل وأي فضيلة مهما كان مظهرها خيراً كالشجاعة والقوة والطموح..إلخ...لن تعد خيراً إلا بالنسبة إلى المقصود الذي ترجوه إرادتنا من استخدامها.

يقول كانت: "إن المعنى العام للخير والشر يجب ألا يجري تعينه قبل القانون الأخلاقي (الذي يبدو كما لو أنه يجب أن يكون أساساً لذلك المعنى العام)، بل يجب أن يعين فقط بعد القانون الأخلاقي وب بواسطته". (كانت، ١٩٦٦، ١١٤)، بمعنى أن القانون الأخلاقي سابق على محددات الخير والشر، ومعناه الدقيق المستمد من السلوك.

ويقول أيضاً: "إن كل إنسان لا بد له أن يسلم بأن قانوناً يراد له أن يكون قانوناً أخلاقياً، أعني قاعدة الالتزام لا بد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة، وأن الوصية التي تقول: عليك ألا تكذب، لا يمكن أن يكون صلاحها مقصوراً علىبني الإنسان وحدهم بحيث يكون

لغيرهم من الكائنات بها شأن، وفضلاً عن هذا فإن قاعدة الالتزام هنا لا ينبغي أن تلتمس في طبيعة الإنسان، ولا في ظروف العالم الذي وضع فيه بل لا بد من البحث عنها بطريقة قبلية في تصرفات العقل المجرد (من التجربة) وحدها...نقول: إنَّ هذه التعاليم قد نستطيع أن نسميها قاعدة للسلوك العملي، ولكننا لن نستطيع بأي حال من الأحوال أن نطلق عليها اسم القانون الأخلاقي". (كانت، ١٩٦٥، ٩).

أي أنَّ قاعدة مثل "لا تكذب" هي ليست للإنسان وظروفه فحسب، وإنما قاعدة لجميع الكائنات، وإنما هي قاعدة قبلية موجودة في العقل، أي قبل التجربة والممارسة واكتشاف الخطأ والصواب عن طريق تلك التجربة، وهي قاعدة "معرفتنا بالأمر الأخلاقي الذي يصلح في كل زمان ومكان؛ لأنَّ قانون عقلي مطلق، يصدر في أوامره عن العقل، مستقلاً عن كل تجربة" (مكاوي، ٢٠٠٣، ١٠).

يؤمن كانت أنَّ القانون الأخلاقي موجود قبلياً، أي قبل أي فعالية يقوم بها الإنسان، وبالتالي هو يضعنا أمام ما

يعرف بميataفيزيقيا الألخلاق: "المعرفة القبلية بموضوع ما عن طريق التصورات الممحضة، إنها المعرفة القادرة على تجاوز الشكلية المنطقية البحث، والتجريبية البحث، والتي تستطيع بواسطة العقل وحده أن تحدد موضوعها، وتتميز ميataفيزيقيا الألخلاق عن الميataفيزيقيا الطبيعية في أن الأولى تتناول قوانين ما يجب أن يكون، بينما الثانية تتناول قوانين ما هو كائن، وميataفيزيقيا الألخلاق لن تستمد قوانين الألخلاق من الطبيعة الإنسانية، ولا من عادات الناس، وإنما من العقل ذاته مباشرة". (بدوي، ١٩٧٩، ص ٣٣).

وكذلك يقول كانت: "من كلّ ما يمكن تصوره في العالم، بل وخارج العالم بعامة، ليس ثم ما يمكن أن يعد خيراً بدون حدود أو قيود، اللهم الإرادة الخيرة" (بدوي، ١٩٧٩، ص ٣٩٣)، "ويعني الإرادة الخيرة وحدها التي يمكن أن تعد خيراً في ذاته أو خيراً مطلقاً أو خيراً غير مشروط، أي خيرة في كلّ الظروف ليست خيرة في ظرف وغير خيرة في ظرف آخر، ولا تكون خيرة كوسيلة لغاية، وشريرة كوسيلة لغاية أخرى، فخيرها لا يتوقف على أي

شرط أو ظرف أورغبة، أو غاية، إذن هي خير مطلق، غير مشروط أبداً، خير في ذاتها لا بالنسبة إلى أشياء أخرى". (بدوي، ١٩٧٩، ص ٤١).

شوبنهاور: (١٧٨٨ - ١٨٦٠ م)

آرثر شوبنهاور: فيلسوف ألماني معروف بفلسفته التشاورية، وهو يرى في الحياة شرّا مطلقاً، هو يبجل "العدم، ويرى في الانتحار شيئاً جيداً، وقد كتب كتاب "العالم فكرة وإرادة" الذي وضع فيه زبدة فلسفته، لذلك تراه يربط بين الإرادة والعقل، فيرى أن العقل أداة بيد الإرادة وتتابع لها، كما يقرن الإرادة بالبدن، كما في تعبير (د. بدوي) الذي يجمع بين الإرادة والبدن في قالب واحد، إذ يرى أنّ البدن هو الإرادة، ولكن نحن نرى الإرادة بوصفها باطن الجسد، ونرى الجسد بوصفه التمثيل الخارجي للإرادة: ولهذا فإن كلّ حركة للبدن هي حركة للإرادة والعكس بالعكس، فإن الإرادة والبدن سيّان أو شيء واحد له مظهراً: مظهر مباشر هو الإرادة، ومظهر غير مباشر هو البدن، وفعل الإرادة هو بعينه فعل الجسم أي أنّ الإرادة والفعل واحد، وإنما النظر العقلي هو الذي

يفصل بينهما، لأنّ فعل البدن ليس إلا فعل الإرادة بعد أن تتحقق موضوعيًّا أي أصبح منظوراً." (بدوي، ١٩٦٥، ١٨٦).

وبالتالي فإن: "الإرادة هي جوهر وجود الإنسان، وفيها يجد الإنسان بالتأمل الباطن المباشر، الجوهر الباطن الحقيقى للإنسان، والذي لا يمكن أن يفني، وهي البذرة الحقيقية الوجودية في الإنسان، هي في الكلمة واحدة، الشيء في ذاته. (بدوي، ١٩٦٥، ١٨٦).

هذه الإرادة هي إرادة الحياة التي تأثر بها نيتشه ببداية، ثم اشتق منها إرادة القوة التي أقام عليها فلسفته الأخلاقية برمتها، فكانت محور أعماله الفكرية والأدبية... وينتقد شبنهور بقوله:

"ما عثر على الحقيقة من قال بـإرادة الحياة، لأنّ مثل هذه الإرادة لا وجود لها وليس للعدم إرادة، كما أنّ الممتنع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلّى حياة، ومع هذا فإن ما أدعوه إليه إن هو إلا إرادة القوة لا إرادة الحياة". (نيتشه، ١٩٣٨، ١٤٤).

ويعتقد شوبنهاور أنّ الأخلاق فطرية، وأنّ أنماط السلوك الإنساني تنطلق من عدة أنماط، الأنانية والإحسان، والنقسان والعدالة والزهد، وأنّ تمثل أحد هذه الأنماط يعود إلى أسباب نفسية خاصة، فربما يختار الإحسان رغبة في تمثل الفضيلة لأجل إرضاء الناس، وقد يختار العدل خوفاً من العقاب والقانون، وكأنه يريد أن يقول بأن المعايير الأخلاقية لا يعكسها بالضرورة السلوك الظاهر للإنسان.

ويعتبر أنّ المصدر الرئيسي لكلّ الأخلاق يكون في مشاركة الإنسان لمعاناة غيره بعيداً عن الدوافع الأنانية، ويجد أنّ السلوك الأخلاقي الصحيح، لا يكون منطلقاً من وجهة نظر معينة، بل يعني التصرف دون وجهة نظر إطلاقاً، "فالذات الخيرة حقاً هي ذات ميته، أو على الأقل تعيش في حالة معلقة دائماً". (إيجلتون، ٢٠١٩، ١٨٧).

فريديريك نيتше (Friedrich Nietzsche) (١٨٤٤-١٩٠٠م)

فيلسوف ألماني، بدأ حياته قسيساً صغيراً، كان يتمتع بقوّة روحية عظيمة، وإرادة تدفعه نحو السمو والرفة

على الدوام، وما أن بلغ الثامنة عشرة حتى فقد الإيمان في إله آبائه القساوسة، درس اللغات والأداب الكلاسيكية، ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة، وكان أكاديمياً، وموسيقياً وفيلسوفاً وأديباً.

غرق نيتشه بالإرث الأخلاقي الإنساني الهائل على مدار التاريخ حد التشعب، مما دفع به للثورة على تلك القيم ونقدتها، متخدناً من إرادة القوة معياراً لهذا النقد، إذ حرك هذا الإرث الهائل لديه الرغبة القوية في الخروج من كل قيمة وجد فيها سلباً لقوة الإنسان وإرادته، فأقام ثورة قلب فيها القيم، بقصد النهوض بالإنسان، كأقوى كائن على هذه الأرض، ضمن أطروحة فلسفية قائمة على مبدأ الصيرورة، حيث لا جمود ولا ثبات ولا مقدس.

كما قامت ثورته على مبدأ النقد لا من أجل النقد بحد ذاته، وإنما من أجل الخروج بالبشرية نحو الأفضل ونحو الإرساء لبندور الإنسان الأعلى الذي طمح إليه نيتشه، يقول: "إننا بحاجة لنقد القيم الأخلاقية، وأن قيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل شيء على بساط البحث". (نيتشه، ١٩٨١، ١٤).

والإنسان الأعلى أو المتفوق، "الأوبرمنش": هو بالنسبة لنيتشه المخرج من العدمية الذي يردّ الاعتبار لقيمة الحياة، ويقود دفتها ويسطير عليها، وهو الكائن غير المتحقق بعد، والذي بشر نيتشه بقدومه بفعل إرادة القوة: "إنني آتِ إيليكم بناءً بالإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه، فما أعددتم للتفوق عليه؟" (نيتشه، ١٩٩٦، ص ٣٣).

إذن يصبح الأبرمنش هو المحرك الفعلي للحياة، ويرمز إليه نيتشه "بزارادشت" (Zarathustra)، بطل كتابه الشهير "هكذا تكلم زرادشت"، فالأبرمنش بوصفه الهدف المنشود للإنسان هو المسؤول عن تشكيل تلك القيم وإرسائهما، وحتى تجاوزها وتبديلها متى شاء، وبما تملّي عليه صيرورة الحياة"، الحقيقة هي أننا نحن أنفسنا في نمو، نخلع عنّا قشوراً بالية في تغيير دائم، نكسب جلداً جديداً كل ربيع" (نيتشه، ١٩٩٣، ص ٢٣٩).

يؤكد نيتشه أنَّ قيم الخير والشَّر هي من صنع البشر، ولم تكن فوقيَّة خارجية، فالإنسان يخلق القوانين ويسنّ الشرائع ويفرضها على نفسه، "لقد أقام الناس الخير

والشر لأنفسهم وما اكتشفوهما، ولا أنزل عليهم بهاتف من السماء" (نيتشه، ١٩٩٦، ص ٨٥).

ويرى نيتشه أن فكرة الخير والشر مرتبطة بطبقة العبيد التي لا يخفى مقتها إياها وأن العبيد استطاعوا فرض هذا على السادة، لكن السادة في جوهرهم يميلون صوب فكرة الجيد والسيء عوضاً عن الخير والشر، وكذلك فإن الخير والشر كباقي القيم نسبية ومتغيرة لأنها أصلاً من صنع الإنسان.

"ليس على الأرض من شعب تحلو له الحياة دون أن يخضع النظم والسنن لتقديره، وإن كل شعب يرى من واجبه إذا أراد الحياة أن يجيء بتقدير يختلف عن تقدير من يجاوره من الشعوب، وهكذا كان ما يرى أحدهما خيراً يراه الآخر دناءة وعاراً... فكم من عمل اتّسح بالعيوب في بلد رأيته مجللاً بالشرف والفاخر في بلد آخر" (نيتشه، ١٩٩٦، ص ٨٣).

وكذلك يؤكد عدم ثبات الخير والشر وضرورة التغيير الدائم، إذ يرى "أنه ليس هنالك من خير دائم وشر دائم،

لأن على الخير والشرّ كليهما أن يندفعاً أبداً إلى التفوق والاعتلاء، فمن أراد أن يكون مبدعاً سواء أكان في الخير أم الشرّ، فعليه أن يبدأ بهدم ما سبق تقديره، وبتحطيمه، وهكذا فإنّ أعظم الشرّ يبدو جزءاً من أعظم الخير، ولكن هذا الخير لم يعط إدراكه إلا للمبدعين". (نيتشه، ١٩٩٦، ص ١٤٤).

نجد أنّ ما سعى إليه نيتشه هو تخلص الإنسان لا سيما الأوروبي من الميتافيزيقية الغيبية، وربطها بهدف الوصول إلى الإنسان الأعلى، يقول: "حيثما تبصرون مثلاً أعلى لا أرى سوى أشياء إنسانية مفرطة في إنسانيتها" (فنك، ١٩٧٤، ص ٥١)، بمعنى أن الإنسان الأعلى ينبثق عن الإنسان ذاته وليس خارجاً عنه.

فهو طريقة جديدة في الحياة تنبذ أوهام الضعف التاريخية منذ أفلاطون مروراً بال المسيحية وحتى ليبرالية القرن التاسع عشر التي أفرزت القيم الأخلاقية والخير والشرّ. (الجمزاوي، ٢٠١٦).

يقول: ألم يبلغ بنا الأمر اليوم ضرورة العزم مرة أخرى على ضرورة قلب القيم، وتحويل أساسها، بفضل استفادة جديدة للذات، وتعزيز جديد للإنسان" (نيتشه، ١٩٩٩: ٦٣)، لكنه لا يترك الأمر بهمّاً بل يرسّي أساساً التحول المطلوب جاعلاً من إرادة القوة معياراً أساسياً لنقد تلك القيم، واستبدالها بقيم جديدة، يقول: "أنتم أيها الواقعون للقيم أقدارها بمقاييسكم وموازينكم بما تقولونه عن الخير والشر، هل كان لكم أن تفعلوا هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة". (نيتشه، ٢٠٠٥: ٢٥).

لعل أفضل ما جاء به نيتشه هو دعوته لتجاوز ذاته وفلسفته، فنيتشه الذي حطم الأصنام لا يريد أن يتحول هو الآخر لصنم جديد، ففلسفته وحياته وحدها واحدة، فكما أثرت حياته في فلسفته كذلك جعل نيتشه من فكره حياته التي يحياها بكل تفاصيلها، فقد صنع نيتشه فلسفه دنيوية بشرية تعلّي من شأن الحقيقة المادية والجسدية للإنسان، وتجعل منه إله نفسه، وصانعاً لقيمته المتغيرة التي تهدف إلى تجاوز العدمية، وديمومة التطور للأعلى.

الفصل الخامس

الأخلاق في الفكر المعاصر:

(الماركسية، البرجماتية، الوجودية)

الأَخْلَاقُ فِي الْفَكْرِ الْمُعَاصِرِ

(الماركسية، البرجماتية، الوجودية)

الماركسية :

لم تدعُ الماركسية إلى نظام أخلاقي خاص بطريقة وعظية مباشرة، وإنما أخضعتها للمتغير التاريخي الذي يطأ على المجتمعات على كافة الأصعدة الحياتية، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية، وفي هذا الإطار يقول كارل ماركس (1818-1883م): «إن الشيوعيين لا يشرون بأية أخلاقيات على الإطلاق، لا يضعون للناس الأمر الخلقي: أحبوا بعضكم بعضاً، لا تكونوا أنانيين.... إلخ، إنهم يعرفون تماماً أن الأنانية مثل التضحية، هي في ظل ظروف معينة الشكل الضروري لصراع الفرد من أجل البقاء ». (كامنكا، 1971: 167)، بمعنى أن الظروف العامة هي التي تصنع الأخلاق، والصراع القائم هو الذي يفرز أخلاقاً معينة مستقاة من الواقع بكل تفاصيله لا سيما الطبقية، إذ يعزّو البيان الشيوعي النتاج الفكري برمته إلى الطبقة السائدة في زمان ومكان معينين، مع ضرورة تغيير تلك الأفكار مع

تغير وزوال الطبقة، إذ يقول ماركس: «وهل يبرهن تاريخ الأفكار على أنَّ الإنتاج الفكري يتبدل ويتحول مع تبدل الإنتاج المادي وتحوره؟، فالآفكار السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى أفكار الطبقة السائدة وآرائها». (ماركس وإنجلز، ١٩٨٧: ٣٧).

وكذلك يبرز دور الطبقة العاملة في إرساء المعاني الأخلاقية، فكما يرى أوجين كمانكا أنَّ: «الوسيلة الوحيدة إلى قيام حياة لا صراع فيها هي: إسقاط الأمور الذاتية وإحلال الشيوعية محلها، هنالك تصح المعانى الأخلاقية الخالصة، لأنها ستكون صدى لأحوال اقتصادية متماثلة في كلِّ المجتمعات البشرية». (كامنكا، ١٩٧١: ١٦٨)، ويعني أن شيوع المال وتوزيع الفرص يقصي الطمع والأثانية الفردية مما يحقق عدالة اقتصادية واجتماعية تعكس على أخلاق الفرد والمجتمع، ويخفف من حدة الصراع باختفاء الهوة الطبقية بين شرائح المجتمع.

ويؤكد ماركس على: «أن الثورة الشيوعية تقطع من الأسس كلَّ رابطة مع علاقات الملكية التقليدية، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضًا أثناء تطورها كل

رابطة مع الأفكار والأراء التقليدية.. إن الخطوة الأولى في ثورة العمال هي تحول البروليتاريا^(١) إلى طبقة سائدة والظفر بالديمقراطية^(٢).

إذن فالماركسية أحدثت قلباً للقيم في قضايا عدّة أبرزها الغاء الطبقات والارتقاء بالطبقة العاملة من «البروليتاريا»، وقد ارتأت في ذلك ما يسهم في تحقيق العدل والمساواة، ومن ثم التخفيف من حدة الصراع على الثروة، والذي يولد صراعات اجتماعية وسياسية وإنسانية.

البرمجاتية :

مذهب فلسي اجتماعي، يقول إن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد

(١) البروليتاريا (باللاتينية: Proletarius) هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدرريك أنجلز يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولى بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجدها العضلي أو الفكري.

(٢) البيان الشيوعي، ص ٤٠.

عن الواقع، وأن المعرفة آلة، أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأنّ صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائيٌّ (أي له غاية).

نشأت الذرائية (البرجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحرّ الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربية للنمو والازدهار.

ومن أبرز روادها:

• تشارلس بيرس: ١٨٣٩ - ١٩١٤ م:

ويعد مبتكر¹ لكلمة البرجماتية، في الفلسفة المعاصرة.

ويعتبر أنّ القيمة الحقيقة لأيّ موضوع أو فكرة تكمن في إمكانية تحقّقها عملياً على أرض الواقع، فهو يرى أنّ معيار الخير في العمل لا في الفكر والقول، يقول في محاضرة له بعنوان «كيف نوضح أفكارنا»: «إنّ تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينبع عن هذا الموضوع من آثار عملية، ومعيار الحق في القول والخير في الفعل

هو العمل المستجع، لا الحكم العقلي». (كرم، ١٩٦٣: ٣٩٦).

• وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠ م):

أما وليم جيمس فيعطي للإنسان دوراً رياضياً في النهوض بالحياة وتطويرها، و«الأخلاق عنده، هي أخلاق البطولة والكفاح، والدور المنوط بالإنسان في هذه الحياة لا يمكن أن يكون دور مشاهد سلبي في عالم لا يملك إزاءه أن يفعل شيئاً، وإنما دوره الأول أن يثبت وجوده ويعزز كيانه في عالم معقد متشابك تتصارع فيه قوى متعددة متباعدة». (الشنيري، ١٩٥٧: ١٨٢).

فجيمس، يحتفي بإرادة الإنسان ويرى أن القول بالجبرية، «يؤدي إلى نتيجة واحدة هي شلل إرادة الإنسان وتشييط همته». (الشنيري، ١٩٥٧: ٥٦).

• جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢ م):

ينظر جون ديوي إلى الأخلاق بطريقة مختلفة تنطلق من كونه عالم نفس وتربيوياً، فهو يجد «أنها تنبع من صميم الحياة التي نعيشها على الأرض، وليس

أخلاقاً متعلالية تفرض على الإنسان فرضياً، وهي أخلاق اجتماعية لا تحصر السيرة الفاضلة في داخل الفرد بينه وبين نفسه، ولا تبع من الذات، أو النفس، أوالضمير، أو العقل، وهي أخلاق يمكن بحثها عملياً، كما تبحث سائر العلوم الطبيعية، ويمكن ضبطها وتوجيهها كما تضبط سائر العلوم». (الأهواي، ١٩٨٧: ١٢٥).

إذن، فديوي يعطي الأخلاق قيمة علمية اجتماعية، ولا يجعلها فردية بالرغم من سطوة الواقع الاقتصادي والمالي الذي ساد في عصره، بل انطلق من كونه عالم نفس وتربيوياً ليجعل من الأخلاق تربية اجتماعية تعكس على الفرد من خلال بيئته، وأن تحسين الأخلاق لا يكون إلا بتعديل النظم الاجتماعية التي تحسن تربية الفرد، يقول ديوي: «إذا كانت تربية الفرد منحطة، فذلك ناشيء من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية». (الأهواي، ١٩٨٧: ١٢٦).

الوجودية :

تنطلق الوجودية من رؤية أساسية تتلخص في النظرة إلى الوجود الإنساني باعتباره سابقاً على ماهيته،

وإذ ينقسم الوجوديون إلى متدينين وملحدة، فإن: «الوجوديين جميعاً، سواء المسيحيين أو الملحدين، يبدأون جميعاً من بداية واحدة: أن الوجود سابق على الماهية، أو أن الذاتية تبدأ أولاً» (الحفني، ١٩٩٢: ١٩٩٢)، أي أنّ الإنسان يوجد أولاً، ثم تتحدد ماهيته، أي ما يريد أن يكون، بالصفات التي يصنعها بنفسه، فالإنسان يمتلك حرية الاختيار في صنع ماهيته، ليس ذلك فحسب، بل إنّ حرية ملزمة لوجوده، ومن أبرز رموز الوجودية:

جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) :

إذ أشار سارتر الذي أكّد أسبقية الوجود على الماهية، وفسّرها بقوله: «وماذا تعني هنا أسبقية الوجود على

(١) جان بول شارل إيمارڈ سارتر (بالفرنسية: Jean-Paul Sartre) (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذًا. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. عرف سارتر واشتهر لكونه كاتب غزير الإنتاج، ولأعماله الأدبية وفلسفته المسمّاة بالوجودية، ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف. بالرغم من أنه حاز جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٤ إلا أنه رفضها، حيث قال بهذا الشأن أن الكاتب يجب ألا يصبح مؤسسة.

الماهية؟، المقصود بذلك أنّ الإنسان يوجد قبل كلّ شيء، وأنه يلقي ذاته، ويزرع إلى العالم، ثم يعرف بعد معنى ذلك». (سارت، ١٩٥٩: ١٦).

كما يجعل سارت من الحرية والاختيار أساساً، في الحكم على الموضوع الأخلاقي، فهو ينكر وجود أخلاق عامة مسبقة يمكنها أن تملئ على الإنسان، يقول: «أنت حرّ لاختار، ولتبتكر، فلا أخلاق عامة تستطيع أن تدلّك على الواجب، لأنّه لا وجود في هذا العالم لإشارات قابلة للتأويل». (سارت، ١٩٥٩: ٣١).

كما يربط سارت بين الفن والأخلاق انطلاقاً من وجهة نظر وجودية لكليهما، ففي حين لا يقبل بأية اشتراطات قبلية للفن فإنه يقيس ذلك على الأخلاق أيضاً، فاللّوحة الحقيقة هي التي يصنعها الفنان بالفعل، فمن «البدائي أنّ لا وجود لقيم قبلية، أي من قبل أن تتحقق على يد الفنان؛ لأنّه لا يحكم على فنّ إلا بعد تكوئه» (سارت، ١٩٥٩: ٤٨)، ومن ثم يقرن سارت الفن بالأخلاق «فالقدر المشترك بين الفن والأخلاق، هو كوننا في كلتا

الحالتين أمام إبداع وابتكار، حتى ليخرج عن حدّ الطاقة التعين قبلّيًّا لما يجب فعله». (سارتر، ١٩٥٩: ٤٩).

فالمذهب الأخلاقي في نظره لا يمكن أن يسبق وجود الإنسان، «فالإنسان إذ يختار التزامه ومشروعه بشكل صادق واضح لا يستطيع أن يفضل مشروعًا آخر على مشروعه الأصلي بغض النظر عن طبيعة هذا الأخير» (سارتر، ١٩٥٩: ٥٠)، كما أن الاختيار لا يكون بمعزل عن الآخرين فالإنسان «يختار إزاء الآخرين كما يختار ذاته حيالهم» (سارتر، ١٩٥٩: ٥١)، فكيف نستطيع هنا أن نحكم في الأمر؟، أي فيما إذا كان الإنسان قد أصاب أم خطأ، أو أنه اختار ذاته بسوء نية، يجيب سارتر: «ليس عليّ أن أحكم فيه أخلاقيًّا، بل أكتفي بتحديد نيته السيئة على أنها خطأ... إنّ تصريحي بوجود قيم سابقة لي هو سوء نية، فضلاً عن أنّ هنالك تناقضًا بين إرادتي لهذه القيم من جهة، والقول بأنّها سابقة لي من جهة أخرى». (سارتر، ١٩٥٩: ٥١-٥٢).

يسأله الدكتور عبد الرحمن بدوي عن إمكانية قيام مذهب أخلاقي وجودي عبر كتاب متخصص له

بعنوان: «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟، ويخلص فيه إلى أنه «من غير الممكن قيام أخلاق وجودية، وأنّ محاولات الفلسفه الوجوديين في هذا الباب تؤذن بتوكيد هذا الرأي». (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣)، لكنه يقسم آراءهم إلى نوعين: بعضهم يصف المذهب الوجودي، باللّا-أخلاقية، مثل: «كيركجورد» (١٨١٣ م - ١٨٥٥ م)، و«يسبرز» (١٨٨٣-١٩٦٩ م)، وبعضهم يرى أنّ الوجودية حتى الآن بمعزل عن الأخلاق، مثل «هيدجر». والفرق أنّ اللّا-أخلاقية كما يفسرها بدوي لا تعني عدم القول بالأخلاق، وإنما تعني عدم القول بأخلاق معينة كالسقراطية، واليسوعية، فهما أي القائلان باللّا-أخلاقية «يطالبان بالارتفاع فوقها إلى مرتبة أعلى هي مدرج الدين عند كيركجورد، وهي مدرج الإنابة إلى الينبوع عند يسبرز» (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣)، وإذ يؤكد بدوي عدم إمكانية قيام أخلاق وجودية، فإنه يقسم الوجود إلى نوعين: «وجود الذات وجود الموضوع، ولكن الوجود الأصيل، بالنسبة إلى الإنسان على الأقل هو وجود الذات، حتى أننا ننتهي في آخر الأمر إلى قصر كلمة الوجود على الذات.» (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣).

ويخلص بدوي إلى «أنَّ الأخلاق - بالمعنى التقليدي - لا وجود لها إلا بالنسبة إلى وجود الموضوع» (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٤)، وبما أنَّ بدوي أكَّد أنَّ الوجود الحقيقي للإنسان هو الوجود الذاتي، وليس الموضوعي فإنَّ هذا يمنع إمكانية تحقق مذهب أخلاقي من وجهة النظر الوجودية، وإذا يعتبر بدوي أنَّ الحرية هي الصفة الأولى لوجود الذات فإنه يجد في القانون بديلاً عن الأخلاق كوسيلة للحدّ من حرية الذات، يقول: «القانون هو الصيغة التي يتواضع الناس عليها لتحدِّ كلَّ ذات من ذاتها». (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٤).

خلاصة

١- خلصت الدراسة إلى أبرز التعريفات العامة لمفهوم الأخلاق على الصعد اللغوية والاصطلاحية والعلمية والفلسفية، كما عرضت موجزاً للتراث الإنساني لفلسفة الأخلاق، لدى أبرز الديانات، والحضارات، والمذاهب الفكرية، ورموزها منذ ما يقارب الستة آلاف قبل الميلاد وحتى العصر الحديث، بموجز مفيد، ولغة مبسطة قدر الإمكان، تصل إلى المتلقى (الشاب أو غير المتخصص) بسهولة ويسر، وتشري معجمه بالمفردات الجديدة التي تم توضيحها في الهوامش.

وقد بُرِزَ معنى الأخلاق، وتفاوتاته المتسقة مع تفاوتات البشر واختلافاتهم الفطرية منذ الأزل حتى يومنا هذا، مما أُجِدَ فيه ما يصوب بعض الأفكار المغلوطة تجاه تلك المفاهيم بمختلف مذاهبها، ويفعّل التفكير العقلي الناقد، ومما يعزز قبول الآخر، والتعامل مع قيمتي الخير

والشرّ بنظرة موضوعية، مبنية على حرية الفكر والإرادة والمعرفة العلمية الموثقة.

ونستطيع تلخيص أبرز الأفكار الواردة في الدراسة السابقة حول مفهوم الأخلاق وتاريخها عند أبرز الشعوب والديانات والمذاهب الفكرية بما يلي:

١) مفهوم الأخلاق: رصدت الدراسة مفهوم الأخلاق خلال منطلقات ثلاثة: (اللغوي، والاصطلاحي، والفلسفي)

- الأخلاق لغة: جمع خلق: «الطبع والسمجية والعادة، أو الدين»، وهو صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانها المختصة بها.

- اصطلاحاً: أنّ الخلق سلوك يصدر عن النفس البشرية «بفعل التّعوّد»، وقد تحول إلى طبع وسمجيّة في تلك النفس، متخدّاً صفة الديمومة، لا الحالة المؤقتة، إذن هو طبع، وكسب في آن واحد، أو أنه طبع يتحقق بفعل الكسب، أو مجموعة معينة من قواعد السلوك التي

يرى إليها النشء في المنزل أو المدارس ومؤسسات المجتمع برمتها.

- فلسفة الأخلاق: وتتضمن:

- علم الأخلاق: وهو من فروع الفلسفة، يسعى إلى وصف الفضائل الأخلاقية في مجتمع معين، ودراسة هذه الفضائل أو الرذائل دراسة عقلية خالصة.

- فلسفة الأخلاق: تقوم بالبحث والتصني وراء الأسباب العقلية، والمعرفية التي دفعت باتجاه تكون قواعد السلوك، لدى شعب أو مذهب معين، وكذلك الأسس، والمسوّغات، التي كونت تلك القواعد الأخلاقية لديهم.

٢) الأخلاق عند اليهود:

- تمييز فلسفة الأخلاق عند اليهود عن غيرها بالعنصرية، فهم يقسمون البشر إلى يهود وأغيار، فمع الغير تقلب المعايير، ويتحول فعل الرذيلة إلى فضيلة يكافأ عليها اليهودي إن اقترفه بحق الآخر. والإرادة

لديهم جماعية، وكل قيمة رهن بال تعاليم الدينية، وقد تدخلوا في صنع تعاليم إلهية تحاول أن تجعل منهم فئة مختارة من البشر، مما حولها إلى ديانة عنصرية بعيدة عن القوة المستندة إلى العدالة الإنسانية.

٣) الأخلاق في المسيحية :

- مصدرها الوحي الإلهي (الإنجيل وأعمال الرسل) تقوم على إنكار الذات، وكتب الغرائز الفطرية والشهوات الإنسانية، كما أكدت على احترام المال، وتمجيد الأجور السماوي، واعتبر أن الخلاص لا يتحقق إلا باللطف الإلهي لا بالأعمال الأرضية، ودعت إلى التمسك بالفضائل وحب الآخرين، والتسامح والإحسان والمحبة والمغفرة، إذ أطلقت شعار: «الله محبة».

- ظهرت أخلاق تزمتية في بعض الأونة، قسمت المجتمع المسيحي إلى فئتين: الرهبان والقساوسة: ممن هم قادرون على تطبيق تلك الأخلاقيات القاسية من

جهة، وعامة الشعب ممن لم يتمكنوا من الانصياع التام لتلك الأخلاق.

- كما ظهرت الأخلاق العقلية، وظهرت الفضائل الأربع (العفة والحكمة والشجاعة والعدالة)، وهي تمازج بين أفكار أرسطو، والوحى المسيحي، إضافة إلى فضائل لاهوتية أخرى هي الإيمان والإحسان، والتفاني، والتواضع، والزهد في الدنيا، وتفضيل الحياة الآخرة عليها.

٤) الأخلاق في الإسلام:

- تبلور مفهوم الأخلاق في الإسلام من منطلقات ثلاثة: (ديني: من القرآن، والحديث، والتوراة، والإنجيل، وفلسفي: عن اليونان، وأدبي: عن الفرس والهند، بما يعرف بالسياسة المدنية).

- المصدر الأساس للأخلاق الإسلامية هو الوحي الإلهي، و تستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية، وهي تستشهد بالفطرة، لكنها أيضاً تدعو للتعديل في

السلوك الإنساني بواسطة التربية، واهتمت بالجوانب النظرية، كما ركزت أيضًا على الجانب العملي من السلوك الإنساني.

- حث الإسلام على المزاوجة بين الدنيا والآخرة، وأباح ملذات الدنيا، لكنه حثه على العمل من أجل جزاء الآخرة؛ لأنّه الأبقى.

- ولم تترك هذه الأخلاق لخيار الأهواء والرغبات، بل إنها تحكم إلى «الترغيب والترهيب»، في الدنيا والآخرة، محتكمة في كلّ ما سبق إلى القانون الإلهي المستمد من القرآن والسنة، وعليه يتلخص دور الإرادة الإنسانية في أن تدفع بالإنسان نحو الامتثال الكامل للإرادة الإلهية.

- الأخلاق عند الفلاسفة الإسلاميين: تأثر معظمهم بالفلسفة الإغريقية المتمثلة في أقطابها الرئيسة الثلاثة: سocrates، وأفلاطون، وأرسطو، إضافة إلى تأثرهم ببعض المذاهب وأبرزها الرواقية، كما أنّ هذه الفلسفات يغلب عليها النزعة العقلية، إضافة إلى

فكرة أن السعادة لا تحدث إلا بالتوحد مع الله، وتلك هي الغاية القصوى لتحقيق السعادة، وهذا يتآتى بفعل التأمل والتحلي بالفضائل.

٥) الأخلاق في بلاد الشرق

أ. مصر: آمن المصريون القدماء بوجود قوة إلهية في السماء، لكنّها استخلفت الفراعنة العظام، في الأرض بعد أن زودتهم بكلّ صنوف المعرفة، حتى يحكموا بين الناس بالعدل لتحقيق الخير بين البشر، كما تميزت بأنّها أخلاق عملية، فالشعور النظري الأخلاقي بالواجب يجعلهم يدركون معنى المسؤولية عن كلّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال، والإرادة لها دور في تحويل القيم النظرية إلى واقع سلوكي له أثر على الفرد والمجتمع.

ب. الهند: وضمت عدداً من الديانات والمذاهب، أبرزها:

- البراهمية الهندوسية: تنطلق من فكرة اتحاد البشر بالله، كونهم صادرين عنه، مما يجعلهم يعملون بتسخير تام،

فلا إرادة لكائن هو جزء من إله، وملحق بإرادته، كما نجد أنّ ثمة تشابه بين المسيحية والبراهيمية في انتصار كلّ منهمما للضعفاء من الناس، كالمرضى والفقراء، واحتفائهما بالمرأة؛ مما يدل على مستوى رفيع من الحضارة والإنسانية والتسامح.

- البوذية: ما يميّز البوذية أنّها انتصرت لإرادة الإنسان القوية، ولكن في مجال محدد هو تحديه لنوازع نفسه ورغباتها وشهواتها، لكنها أقصت حقّ الإنسان في التمتع بنعم الحياة، وأنشأت أخلاقاً مبنية على جلد الذات والتسامح، والتنازل عن كلّ حقوق النفس الدنيوية.

- الجينية اليوجية: هي مثل أعلى للزهد والتنسك، وقد اتبعت نظاماً من الرياضيات البدنية والروحية القاسية التي تهدف إلى شفافية الروح وترقيتها، حتى تصبح أهلاً لأن تتحد بالآلهة، ونجدها تقترب من الصوفية في هذا الجانب، ومن هنا نلحظ أنّ الجينية تحلّق

خارج الواقع الوجودي للإنسان حتى تصل حدّ الأسطرة.

- الأخلاق في الفارسية: ومن أبرزها

- الزردشتية: تقوم على انتصار النور على الظلمة، بوصفه رمزاً لانتصار الخير على الشر في النفس أولاً، ومن ثم يعكس هذا على المجتمع، وهي أخلاق عملية لم تدع إلى طرح الشهوات، وإماتة الجسد، فهي تحفي بالإنسان جسداً وروحًا، وتدعوه إلى استنفار طاقاته باتجاه الارتقاء به، وتدفع بتطور الإنسان وتعزيز دوره وإرادته من خلال قيم مسلكية مادية.

- المزدكية: اعتبرت انتكasaة اجتماعية، لأنها ارتأت أن الشر بين الناس سببه الملكية الخاصة، فجعلت المال مشاعراً بين الجميع، وكذلك المرأة، وذلك ليتباهي النزاع بين الناس، ومن هنا جاءت بعض الأفكار الشيوعية حول شيوع المال بين الناس فقط دون النساء، وذلك طلباً للعدالة الاجتماعية.

- الصين: ومن أبرز مذاهبها
- الكونفوشية: نادت بفكرة الواجب المقدس الذي يستمد سلطانه من نفسه، وبمقتضى معرفته والإحساس به، بحيث تكون أفعالنا صادرة عن وحيه، إذ يستنهض الكنفوشي الواقع الداخلي «الضمير» بوصفه معياراً أخلاقياً يدفعه تجاه الخير دون الشر حتى خارج الجماعة، فهي أخلاق فردية، ونلحظ أن الكانطية تقترب منها في هذا الجانب، لكنها تختلف في أنها لم تشر إلى القواعد السلوكية القبلية في العقل كما كانط.
- التاوية: جوهرها العودة إلى الطبيعة الفطرية، ضد مظاهر الحضارة والمدنية، وقد دعت إلى التصوف والخلص من كلّ ما هو مادي، والخلاص إلى أن الإنسان روح فقط، والغاية هي السير نحو ما رسمته الطبيعة «القانون السماوي»، وجوهر السعادة هو العدل والمساواة والبساطة والاقتراب من الطبيعة.

٦) الأخلاق في الثقافة الإغريقية

- السوفسقائية،

- ظهرت نتيجة الديمقراطية، عندما ساد حكم الشعب بعد دحر الفرس، حيث ازداد شعور الفرد بذاته وبدوره في الحياة، وبالتالي سادت النفعية الفردية، وأصبحت الفلسفة حرف، واعتمدوا الحاسة أساساً للمعرفة، وبما أن الحاسة متغيرة بحسب الظروف، إذن لا ثبات في الحكم على ما هو حق أم باطل، أو خير أم شر، وإنما يتبلور ذلك بشكل نسبي، ويتفاوت من شخص لآخر حسب زمانه ومكانه وظرفه العام، وكذلك قامت على الشك والمكابرة، واعتبر بعضهم أن الطبيعة منافية للقانون، وهي المشرع لنا إذن ليس علينا أن نخضع له.

- فيثاغوروس: كان صاحب نزعة فلسفية تصوفية، وقد رأى الخير في انتصار الروح على الجسد، والفضيلة في الإعراض عن الشهوات، أمّا العفة فهي جهاد بين العقل والغرائز، والعدل والشجاعة والإخلاص وطاعة القانون ومحاسبة النفس قبل النوم والزهد

والعبادات، وكذلك النزوع إلى التشبه بالله، ووجوب الشيوعية في المال.

- هيراقلطيتس: فيلسوف التغيير بلا منازع، وأول من بحث في ميدان الأخلاق، دون أن يضع لنفسه مذهبًا أخلاقيًا محدداً، تأسست فلسفته على ضرورة الاحتكام إلى العقل في الأفعال والسلوك دون اتباع عامة الناس، كما نادى بالحرية الأخلاقية، وهو صاحب نظرة تفاؤلية للكون والحياة، توصل إلى أنّ الخير الأسمى ليس إلا الانشراح والسرور، واعتبر أنّ «جميع الآثام والشرور ليست إلا أوصافاً ظاهيرية تدرك بمعطيات عقولنا القاصرة». (كرم، ١٩٩٧: ٢١)

- ديمقريطس: صاحب نظرية الذرة، كل شيء في الحياة مادي، ينظر للأشياء نظرة نفعية، فالخير هو ما يجرّ نفعاً ولذة، والشرّ ما يجرّ ألمًا، تأثرت به المدرسة النفعية البرغمانية الحديثة.

- سقراط: نفر من دراسة الطبيعة المادية، وانشغل

بدراسة مشكلات الإنسان، ولا سيما الأخلاقية، بحث سocrates عن التعريفات اليقينية للمفاهيم الأخلاقية الثابتة: التقوى، والشجاعة، والخير، والعدالة، والفضيلة، إذ اعتبر بحق مؤسس علم الألحادics «واعتبر أن فلسفة الألحادics تسعى إلى الوصول إلى المبادئ الأولى أو المطلقة التي تظل ثابتة مهما تغيرت الظروف، وتبينت المجتمعات، من هنا استقى كانط فكرة الأسس الأخلاقية القبلية في العقل، عارض السفسطائية في الحسية، وبنى نظاماً فلسفياً في الميتافيزيقيا والألحادics والمعرفة، وقد قسمت المعرفة إلى ما قبله وما بعده كما كانط.

- أفالاطون: نقد السفسطائية، كما ربط بين الألحادics والسياسة، واعتبر أن الدولة هي الفرد في صورة أكبر، وبالتالي ارتئى أن كل تصرفات الأفراد تتعكس على الدولة بخيرها وشرها، فالحاكم والمحكوم سيان، إلا بظروف معينة، يستثنى الحاكم بما تقتضيه مصلحة الدولة، واشترط ضرورة أن يكون الحاكم فيلسوفاً، لأنه قادر على قيادة الناس إلى الخير، وهنا نجد أن

أفلاطون، ورغم مثاليته، وإيعازه الخير لعالم المثل، وأن الخير يكمن بالتشبه بتلك المثل، فإنه يتصرّ للفرد القوي، كما أنه يمجّد الحرب في سبيل الخروج بنخبة من البشر.

المدرسة الكلبية: تقوم فلسفتهم على احتقار كلّ الخيرات الخارجية، فهي صراع ضد اللذات، واحتقار للعيش، والعلاقات الاجتماعية، يظهرون بمظهر رثّ، يتطفّلون على المجالس، يرضون من مظاهر الحياة بالقليل، يدعّون أنّ الإله «زوس» كلفهم بمراقبة عيوب الناس، والتشهير بهم، كانوا يشبهون أنفسهم بالكلاب التي تحرس البيوت والحقول، فالناس جمِيعاً أشرار، وهم وحدهم كحراس الفضائل، يتصفون بالإعجاب بأنفسهم والكبر واحتقار الآخر، وافتراض أخلاق عنصرية.

- القورينائيون: اللذة هي مقياس الخير والشرّ، يدعّون أنّ ذلك هو صوت الطبيعة، وما يضعه الناس من قيود للسلوك إنما هو مخالف للطبيعة، وأفضل لذة بالنسبة لهم هي الحاضرة، أما انتظار لذة في المستقبل

فهو أمر يجلب القلق، وهنا نلحظ أنها فلسفة متناقضة إلى حدّ ما، انتقلت من موقع تمجيد اللذة إلى نفيها كلياً، بحجّة أنها تتبع الألم، وأنّ الحكمة في الألم، لا في اللذة ذاتها، مما يدفع باتجاه طلب الموت، كشفاء ضروري من الألم.

- أسطو طاليس: زاوج أسطو بين متطلبات الجسد والروح؛ بوصفهما شرطاً لتحقيق السعادة، فالخير الأسمى مقتنن بتحقيق اللذة للجسد، والمال والجاه شرطان لتحقيق لذة خارجية، ليست أساسية في الحياة، لكنه اشترط التأمل والتفكير والاقتراب من الآلهة أيضاً، وركّز كذلك على الإرادة القوية عند الإنسان لتحقيق الفضائل، فالدافع الداخلي في نظره أكثر قدرة على التأثير في السلوك، من المكتسب الخارجي، كما قصر أسطو السعادة الالزمه عن فعل الخيرات على الحياة الدنيا فقط، إذ لم يؤمن بخلود الروح، أو بحياة أخرى، ولعل دراسته للطبيعة في مظهرها المادي هي التي أوحّت إليه بذلك.

- الأبيقوريون: يقوم مبدأهم الأخلاقي على حساب اللذات، فالفضيلة لا قيمة لها في ذاتها، بل تستمد قيمتها من اللذة، الخير المطلقاً هو اللذة، والشرّ المحسّن هو الألم، وبالنظر إلى هاتين القضيتين يتحدّد معنى السعادة.

• الرواقيون: «عشْ وفْقَ الطبيعة» يجب على الناس أن يتّابقوا مع الطبيعة بالمعنى الواسع، أي مع قوانين الكون من جهة، وأن يتّابقوا أفعالهم مع الطبيعة بالمعنى الضيق حسب طبيعتهم الجوهرية، أي العقل من جهة أخرى، وبالتالي فإن العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا، وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد، من هنا نلحظ أنّ الرواقية تحتكم إلى قوانين الطبيعة بطريقة تبني عنصر الإرادة الإنسانية نهائياً.

• الأفلوطينية المحدثة، أفلوطين:

- تتجتّ عن امتزاج فلسفة الشرق بالفلسفة اليونانية، يؤمنون بأنّ النّفوس فاضت عن الله كما يفيض

النور عن الشمس، لذلك تشتاق إليه دائماً، وتسعى للاتصال به، بالتأمل والتفكير والغياب عن العالم المحسوس، وانعكس ذلك على النظرية الأخلاقية فقامت على التصوف، لا على البحوث العقلية المجردة.

- الشر يأتي من الحياة الدنيا ومحفوبياتها المادية، والخلص من هذا الشر يكون بالخلص من التعلق بتلك الماديات، والتطلع نحو العالم الغولي.

- قيمتا الشر والخير نسبتان تحسبان بصورة جمعية لا فردية، فالشر الذي يصيب فرداً قد يكون خيراً في إطار المجموع.

٧) فلسفة الأخلاق في العصر الحديث (أنماذجات مختارة)

- ديكارت: يرى ديكارت أن العقل هو الإلهام، أو الحدس المباشر الذي يدرك به الإنسان الحق من الباطل، والذي يأتي للإنسان عند إيمانه بالقوة

العليا المدركة، ودعا ديكارت إلى ترويض الشهوات وسيطرة العقل عليها بالعلم والمعرفة، متأثراً بسقراط الذي جعل العلم أساس الفضائل، كما أبعد موضوع الأخلاق عن مجال الشك كونها أثراً من آثار الدين، والدين لديه فوق الشك، فهو يجعل من الحاسة الخلقية «الضمير» رقيباً على تصرفات الإنسان على أن تهتدي الإرادة بالعقل في التمييز بين الخير والشر».

- مالبرانش: (مزيج من الفلسفة العقلية والصوفية) شارك ديكارت فكرة تأسيس الأخلاق على العقل الفطري، وزاد عليه في ربط الأخلاق العملية بالدين، وقرر أنّ ما تعانيه الأخلاق العملية من ضعف هو بسبب تقصير علماء اللاهوت، كان أكثر تشدداً من ديكارت الذي طالب بالموازنة بين مطالب العقل والغريزة، إذ طالب مالبرانش بإماتة الشهوات؛ لأنّ في ذلك خلوصاً إلى عالم العقل والروح والفضيلة.

- سبينوزا: يربط بين قوة البدن وقوة العقل برباط قوي، وهو يرفض الفضائل التي تسعى إلى قهر الجسد ومحاربة الشهوات، أقرّ نسبية الأخلاق، وقال عن

الخير والشرّ: ما هما إلا حالان من أحوال الفكر، أو تصوران يكونان عند مقارنته الأشياء بعضها بعض، لأن الشيء الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد خيراً وشراً على السواء.

- كانط: أراد كانط أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء؛ حتى تكون قيمته باطنية مطلقة، وبهذا تستبعد اللذة والمنفعة كغاية قصوى لافعال الإنسان الإرادية، فالباعث على فعل الواجب لا يقوم قط في الرغبة في تحقيق غاية، أو الخوف من الضرر، بل يقوم في الإرادة نفسها، فالإرادة الخيرة هي فقط من تحدد إن كان الفعل خيراً أم شراً، لأن السلوك بحد ذاته لا يعني شيئاً إلا بحسب الإرادة الذاتية التي توجهه، ويؤمن كانط أن القانون الأخلاقي موجود قبلياً، أي قبل أي فعالية يقوم بها الإنسان، وبالتالي هو يضعنا أمام ما يعرف بمتافيزيقا الألحاد.

- شوبنهاور: يرى في الحياة شرّاً مطلقاً، هو يبجل العدم، ويرى في الانتحار شيئاً جيداً، يربط بين الإرادة والعقل، فيرى أن العقل أداة بيد الإرادة وتتابع لها، كما

يقرن الإرادة بالبدن، ففعل البدن ليس إلا فعل الإرادة بعد أن تتحقق موضوعياً أي أصبح منظوراً، ويعتبر أن المصدر الرئيسي لكل الأخلاق يكون في مشاركة الإنسان لمعاناة غيره بعيداً عن الدافع الأنانية، ويجد أن السلوك الأخلاقي الصحيح لا يكون منطلقاً من وجهة نظر معينة، بل يعني التصرف دون وجهة نظر إطلاقاً.

- نيتشه: تأثر نيتشه بكل الفلسفات الأخلاقية التي سبقته فدرسها، ونقدتها، وثار عليها، مؤسساً لأخلاق أرضية، بعيدة عن الدين وعن الميتافيزيقيا، وأعلى من شأن الإنسان وطالبه بالتطور حدّ الوصول إلى مرحلة الإنسان الأعلى «السوبرمان» وذلك بفعل إرادة القوة التي هي المعيار الأساسي للأخلاق، فطالب بأخلاق القوة، ونبذ الضعف والاستسلام، ونبذ أخلاق العبيد، فأقام ثورة قلب فيها القيم، بقصد النهوض بالإنسان كأقوى كائن على هذه الأرض ضمن أطروحة فلسفية قائمة على مبدأ الصبرورة، حيث لا جمود ولا ثبات ولا مقدس، وإنما الثورة والتطور الدائم إلى الأعلى.

٨) الأخلاق في أبرز مدارس الفكر المعاصر

الماركسيّة: لم تدعُ الماركسيّة إلى نظام أخلاقي خاص بطريقة وعالية مباشرة، وإنما أخضعتها للتغيير التاريخي الذي يطأ على المجتمعات على كافة الأصعدة الحياتية سواء أكانت سياسية أم اقتصاديّة أم اجتماعية.

وكذلك يعزّو البيان الشيوعي التأثير الفكري برمته، إلى الطبقة السائدة في زمان ومكان معينين، مع ضرورة تغيير تلك الأفكار مع تغيير ورثّ الطبقة، إذن فالماركسيّة أحدثت قلبًا للقيم في قضايا عدّة أبرزها إلغاء الطبقات والارتقاء بالطبقة العاملة «البروليتاريا».

- البرجماتيّة: مذهب فلسي اجتماعي، يقول إنّ الحقيقة توجّد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأنّ المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأنّ صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأنّ الفكر في طبيعته غائي (أي له غاية)، ومن أبرز منظريّها:

- تشارلس بيرس: يعتبر أنّ قيمة الفكرة في إمكانية تتحققها، فهو يرى أنّ معيار الخير في العمل لا في الفكر والقول.

- وليم جيمس: يعطي للإنسان دوراً رياضياً في النهوض بالحياة وتطويرها، وأنّ الجبرية تسلّ حركة الإنسان وتبني همته وعزيمته.

- جون ديوبي: يعطي الأخلاق قيمة علمية اجتماعية، ولا يجعلها فردية، بالرغم من سطوة الواقع الاقتصادي والمالي الذي ساد في عصره، بل إنه انطلق من كونه عالم نفس وتنميّة؛ ليجعل من الأخلاق تربية اجتماعية تتعكس على الفرد من خلال بيئته، وأنّ تحسين الأخلاق لا يكون إلا بتعديل النظم الاجتماعية التي تحسن تربية الفرد.

- الوجودية :

ينقسم الوجوديون إلى متدينين وملحدة، إلا أنهم ينطلقون من نفس المبدأ: أنّ الإنسان يوجد أولاً، ثم

تحدد ماهيتها، أي ما يريد أن يكون بالصفات التي يصنعها بنفسه، فالإنسان يمتلك حرية الاختيار في صنع ماهيتها، بل إنّ حريتها ملزمة لوجوده.

- أما سارتر فيجعل من الحرية والاختيار أساساً في الحكم على الموضوع الأخلاقي، فهو ينكر وجود أخلاق عامة مسبقة يمكنها أن تتملى على الإنسان أو تدلّه على الواجب، فهو حرّ الاختيار والابتکار. كما يربط سارتر بين الفن، والأخلاق، انطلاقاً من وجهة نظر وجودية لكتلهم، ففي حين لا يقبل بأية اشتراطات قبلية للفن، فإنه يقيس ذلك على الأخلاق أيضاً، فاللوحة الحقيقة هي التي يصنعها الفنان بالفعل.

- تقسم آراؤهم إلى نوعين: بعضهم يصف المذهب الوجودي، باللّاأخلاقية، مثل «كيركيجورد» (١٨١٣-١٨٥٥م)، و«يسبرز» (١٨٨٣-١٩٦٩م)، وبعضهم يرى أن الوجودية حتى الآن بمعزل عن الأخلاق، مثل «هيدجر»، والفرق أن اللّاأخلاقية كما يفسرها بدوي

لا تعني عدم القول بالأَخلاق، وإنما تعني عدم القول بأَخلاق معينة، كالسقراطية، والمسيحية.

• وأخيراً نلحظ أنّ تاريخ الأَخلاق يشير إلى أنّ الأَخلاق ثورة متعددة على واقع السلوك الإنساني، تحكمه معايير الزمان والمكان والظروف الاقتصادية والمعيشية والسياسية والطبقية، إذن فالأخلاق نسبية متغيرة، تتحدد معاييرها وفق منبعها وهي خاضعة للتطور، وكذلك للتراجع والنكوص، كما نلحظ أنّ المعايير والمبادئ الأخلاقية متفاوتة بين البشر، إلا أنها قد تكرر وأن بعضها قد يستمد جذوره من بعض، حتى أنها من أكثر المذاهب إيجالاً في التاريخ، فال تاريخ الإنساني حلقة متواصلة وصيرورة لا تقف عند حدّ معين، وهذا ما لاحظناه عبر الوجبة المعرفية المكثفة التي تناولتها الكتاب حول معنى الأَخلاق، والتراث الإنساني للفلسفة الأخلاق.

المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن حنبل، الإمام، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ج ٢.
- ٣- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنباري (٢٠٠٣)، لسان العرب، المجلد الثالث، دار الحديث القاهرة.
- ٤- أبوديّة، أيوب (٢٠٠٨)، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، مطبعة السفير.
- ٥- أرسطو، طاليس (١٩٢٤)، الأخلاق إلى نicomachean، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية.
- ٦- إمام، عبد الفتاح إمام (١٩٨٥)، فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة.
- ٧- إنجيل متى.
- ٨- الأهوانى، أحمد فؤاد (١٩٦٦)، الكندى فيلسوف العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومى مؤسسة

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،
١٩٦٦م.

٩- الأهواي، أحمد فؤاد، جون ديوبي، نوابع الفكر
العربي، دار المعارف، ط٣.

١٠- بدوي، السيد محمد (١٩٩٤)، الأخلاق بين
الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.

١١- بدوي، عبد الرحمن (١٩٥٣)، هل يمكن قيام
أخلاق وجودية، مكتبة النهضة المصرية.

١٢- بدوي، عبد الرحمن (١٩٦٥)، شوبنهاور، دار
النهضة العربية، القاهرة.

١٣- بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٥) الأخلاق النظرية،
وكالة المطبوعات.

١٤- بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٩) الأخلاق عند كانت،
وكالة المطبوعات، الكويت.

١٥- برهيبة، إميل (١٩٨٢)، تاريخ الفلسفة، ترجمة:
جورج الطرايسي، طليعة للطباعة والنشر، الطبعة
الأولى، بيروت، ج٢.

- ١٦ - بربيل، ليفي (١٩٥٣)، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة: د. محمود قاسم، مراجعة: د. محمد البدوي، وزارة المعارف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٧ - بسيوني، محمد عبد الحميد (١٩٩٧)، أدب السلوك عند القدماء المصريين، الهيئة المصرية، مكتبة الأسرة.
- ١٨ - حسين، طه (١٩٦٤)، قادة الفكر، دار المعارف، القاهرة.
- ١٩ - الحفني، عبد المنعم (١٩٩٢)، معنى الوجودية، مكتبة راديو، القاهرة.
- ٢٠ - دولوز، جيل (١٩٩٨)، ترجمة: أسامة الحاج، نيشيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- ٢١ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (١٩٥٧)، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، فصل في ماهية الأخلاق.

- ٢٢- سارتر، جان بول (١٩٥٩) الوجودية فلسفة إنسانية،
ترجمة: حنا دميان، بيروت.
- ٢٣- سدجويك، هنري (١٩٤٩) المجمل في تاريخ
علم الأُخْلَاق، ترجمة: د. توفيق الطويل، عبد الحميد
حمدي، دار نشر الثقافة بالإسكندرية.
- ٢٤- سفر التثنية.
- ٢٥- سفر التكوين.
- ٢٦- شاحاك، إسرائيل (١٩٩٧)، الديانة اليهودية
وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة رضي
سلمان، المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- ٢٧- شبل، فؤاد (١٩٦٧)، حكمة الصين، دار المعارف،
القاهرة.
- ٢٨- شرابي، هشام (١٩٧١)، المثقفون العرب والغرب،
دار النهار للنشر، بيروت.
- ٢٩- الشرقاوي، محمد عبد الله (١٩٩٣)، الكنز
المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت.
- ٣٠- الشنيصي، محمد فتحي، (١٩٥٧)، وليم جيمس،
مكتبة القاهرة الحديقة، القاهرة.

- ٣١- صبري، محمد (٢٠١١)، التلمود شريعةبني إسرائيل حقائق وواقع، مكتبة مدبولي القاهرة.
- ٣٢- طاليس، أرسسطو (٢٠٠٧)، الكون والفساد، ترجمة عن الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهيلير، ترجمة إلى العربية: أحمد لطفي السيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- ٣٣- طاليس، أرسسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، ج. ٢.
- ٣٤- الغزالى، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ط١، ج. ٣.
- ٣٥- غلاب، محمد (١٩٣٨)، الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة.
- ٣٦- الفارابي، أبوالنصر (٢٠٠٢)، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق القدس للدراسات والبحوث، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- ٣٧- فنك، أوين (١٩٧٤)، فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بدبوبي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

- ٣٨- كامنكا، أوجين، الأسس الأخلاقية الماركسية
ترجمة: عبد المنعم مجاهد.
- كانت، عمانوئيل (١٩٦٥)، أسس ميتافيزيقا الأخلاق،
ترجمة: محمد فتحي الشنيصي، القاهرة.
- ٣٩- كانت، عمانوئيل (١٩٦٦)، ترجمة: أحمد الشيباني،
بيروت.
- ٤٠- كرسون، أندريه (١٩٤٦)، المشكلة الأخلاقية
والفلسفية، ترجمة: د. عبد الحليم محمود وأبوبكر
ذكرى، دار إحياء الكتب العربية، مؤلفات الجمعية
الفلسفية المصرية.
- ٤١- كرم، يوسف (١٩٩٧)، تاريخ الفلسفة اليونانية،
دار القلم، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ٤٢- كرم، يوسف، (١٩٦٣)، تاريخ الفلسفة الحديثة،
دار المعارف، القاهرة.
- ٤٣- كولر، جون (١٩٩٥)، الفكر الشرقي القديم،
ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام
عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون
والأداب، الكويت.

- ٤٤- ليشتانبرجر، هنري (١٩٥٤)، نيتشرة، ترجمة: خليل الهنداوي، دار بيروت، بيروت.
- ٤٥- ماركس، كارل، إنجلز، فريدريك (١٩٨٧)، بيان الحزب الشيوعي، ترجمة: د. عصام أمين، دار التقدم، موسكو.
- ٤٦- ماضي، أحمد (١٩٨٨)، الفلسفة العربية المعاصرة: مواقف ودراسات، مركز الوحدة العربية.
- ٤٧- ماضي، أحمد، موسى، سلامة (٢٠٠٨) العلمانية والدين، الانتشار العربي، ط١.
- ٤٨- مرحبا، محمد عبد الرحمن (١٩٩٥) بدايات الفلسفة الأخلاقية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- ٤٩- موسى، سلامة (١٩٥٣)، هؤلاء علموني، مؤسسة هنداوي، لنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- ٥٠- موسى، محمد يوسف (١٩٤٣)، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، مطبعة الأزهر.
- ٥١- موسى، محمد يوسف (١٩٥٣)، تاريخ الأخلاق، دار الكتاب العربي مصر.

٥٢ - نيتشه، فريديريك (١٩٣٨)، هكذا تكلم زرادشت،
ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة البصیر،
الإسكندرية.

٥٣ - ولتر، ستيس (٢٠٠٥)، تاريخ الفلسفة اليونانية،
ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مجد المؤسسة
الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
بيروت.

المجالات والدوريات:

- ١ - أنطون، فرح (١٩٠٨) مجلة الجامعة، نيتشه وفلسفته:
فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية، الجزء ٣.
- ٢ - بشاره، نبيل (٢٠٠١)، مقال بعنوان: «أول كتاب
في اللغة العربية»، مجلة إبداع، العدد التاسع، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، مصر.

القواميس والمعاجم:

- ١ - طرابيشي، جورج (١٩٨٧)، معجم الفلسفة، دار الطليعة، بيروت.
- ٢ - الموسوعة الفلسفية العربية، مادة الزرادشتية، المجلد ٣، ط١، بيروت، معهد الإنماء العربي ١٩٨٦.
- ٣ - الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، بيروت، دار القلم.

السيرة العلمية والأدبية

- د. نهلة الجمزاوي (نهلة محمود الرزق)
مُحاضرة أكاديمية، وأدبية وإعلامية
عضو الهيئة الإدارية في رابطة الكتاب الأردنيين لعدة
دورات انتخابية.
- عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب.
عضو اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.
عضو الجمعية الفلسفية الأردنية.
- حاصلة على درجة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة
الأردنية.
- حاصلة على درجة الماجستير في الفلسفة من الجامعة
الأردنية.
- حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب العربي
من الجامعة الأردنية.
- حاصلة على عدد من الدورات في المهارات الفنية
الإعلامية المتنوعة من منظمة اليونيسكو، ومن
المركز الأعلى للإعلام / عمان .

- نشر لها بحثان محكمان في كلّ من: مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية الصادرة عن الجامعة الأردنية، ومجلة جامعة ابن رشد الصادرة عن جامعة ابن رشد في هولندا.
- محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية (قسم المتطلبات الجامعية/ كلية الآداب - وفي مركز اللغات). منذ ٢٠١٧ حتى الآن.
- مسؤولة صفحات الطفل «دنيا الفرح وأشبال» في جريدة الرأي الأردنية منذ ٢٠٠٧ - حتى الآن... (غير متفرغ).
- عملت في التحرير الصحفي الورقي والإلكتروني، وكاتبة مقال فكري ثقافي في عدد من الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية.
- عملت مديرًا لتحرير مجلة أوراق الصادرة عن رابطة الكتاب الأردنيين ٢٠١٧-٢٠١١
- عملت محرراً لمجلة حاتم للأطفال الصادرة عن المؤسسة الصحفية الأردنية -منذ ٢٠١٦/١٢/١ حتى ٢٠١٨/١/١

- كتبت عدداً من البرامج الوثائقية والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية لعدد من المحطات والمؤسسات الإعلامية العربية والمحليّة.
- معدة ومقدمة برنامج درب الإبداع على قناة هوى عمان ٢٠١٥.
- محاضرة ومشاركة في عدد من المؤتمرات الفكرية والأدبية الأردنية والعربية - من أبرزها، مؤتمرات رابطة الكتاب الأردنيين، والجمعية الفلسفية الأردنية، ومؤتمرات اتحاد كتاب العرب المنعقدة في عمان ودبي.

الإصدارات والجوائز:

- صدر لها ما يقارب الثلاثين عملاً إبداعياً ما بين المقتروء والمرئي المسموع، في مجالات القصة والرواية، والشعر والمسرح والدراما التلفزيونية والإذاعية، وأدب الطفل، ولها عدد كبير من القصائد والأوباريات، وأغاني الأطفال التي تبّث على عدد من الفضائيات العربية، كما شاركت بعض القصائد في المناهج التعليمية التربوية والكتب المدرسية.

أبرز الجوائز:

- فازت بعدد من الجوائز العربية في القصة والمسرح والدراما وأدب الطفل، منها:
 - جائزة الشارقة في القصة القصيرة عن المجموعة القصصية «العربة» ٢٠٠١
 - جائزة النص المسرحي من وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٢ عن مسرحية «الشظية».
 - جائزة ناجي نعمان العالمية عن النص المسرحي «لعبة في الهواء القلق» ٢٠٠٥.
 - جائزة وزارة الثقافة في الإبداع عن رواية الكوكب الصامت ٢٠١٥.
 - جائزة البحرينية للإبداع في مجال «كتابه النص الدرامي، تأليف وسيناريو» من السودان بمناسبة الخرطوم عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥.
 - جائزة وزارة الثقافة للإبداع ٢٠١٦ م عن كتابة النص التلفزيوني تأليف وسيناريو مسلسل درب الهوى «قيس ولبني».

أبرز الإصدارات:

- «فلسفة الأخلاق عند نيتشر» وأثرها في الفكر العربي العربي الحديث والمعاصر / الصادر عن دار فضاءات للنشر ٢٠١٣.
- فلسفة الفن والأدب عند نيتشر عن الدائرة الثقافية، الصادر عن أمانة عمان ٢٠١٨
- مجموعات قصصية:
- «العربة» / عن المؤسسة العربية للطباعة والنشر ٢٠٠١
- «الولد في هذيانه» / صادرة عن دار اليازوري للطباعة والنشر ٢٠٠٢.
- «يدفنون النهر» / صادرة عن دار فضاءات للطباعة والنشر ٢٠١٨.
- مسرح الكبار:
- «مسرحية الشطية»، صادرة عن الأفكار الذهبية للنشر والإعلام، ٢٠٠٤
- مسرحية لعبة في الهواء القلق» / صادرة عن الأفكار الذهبية للنشر والإعلام، ٢٠٠٤

- مسرح الطفل: الأعمال المسرحية «أنا الفرح»: صادرة عن دار فضاءات للنشر، ٢٠١١ وتضم إحدى عشرة مسرحية للأطفال، عرض معظمها على مسارح الأردن والوطن العربي.
- رواية الكوكب الصامت لليافعين/ صادرة عن منشورات وزارة الثقافة الأردنية-عمان.
- مجموعة قصصية بعنوان «القادم من المستقبل» لليافعين-صادرة بدعم من وزارة الثقافة الأردنية . ٢٠٠٨
- مسلسلات تلفزيونية: كتبت عدداً من المسلسلات التاريخية للكبار والمسلسلات «الكارتونية» التربوية والتعليمية للأطفال.
- نوقشت أعمالها المسرحية للطفل (أنا الفرح) ضمن رسالتين علميتين: ماجستير (٢٠١١)، ودكتوراه (٢٠١٥)، في الجامعة الأردنية - كلية الآداب.
- شاركت بعض قصائدها التربوية في المناهج المدرسية لوزارة التربية والتعليم الأردنية ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م في عدد من كتب المناهج المدرسية للمرحلة الابتدائية وفي المدارس الحكومية وإلخاصة.

- ترجم لها عدد من الأعمال القصصية والمسرحية إلى اللغة الانجليزية.

البريد الالكتروني: yahoo.com@jimzawi

للاطلاع على قائمة منشورات وأخبار الوزارة
يرجى زيارة العنوانين التاليين :



موقع وزارة الثقافة الإلكتروني
www.culture.gov.jo



رابط صفحة وزارة الثقافة على الفيس بوك
www.facebook.com/culture.gov.jo

ቅዕስ የሰማል

(مفهومها - تاریخها - تطورها)



يختتم سلسلة النشر، متطورة وعصيرية، تطلقها وزارة الثقافة الأردنية، تسد النقص في المكتبة المحلية والعربية، منشورات مهمة في حقول معرفية مختلفة، فجاءت سلسلة فكر ووعي معرفة التي تسعى إلى خلق الوعي والإدراك وتنمية التفكير وفهم الحقائق وسياقات التاريخ والحياة، وتفصيل النتائج والتجربة الإنسانية، وخلق التأمل الفلسفى ضمن آليات المنطق والتحليل العلمي. وسلسلة الفاسفة للشباب بهدف تشجيع الأجيال الجديدة للإفادة من مناهج الفلسفه في فهم العالم المعاصر، وتوسيعه الرأي العام بأهمية الفلسفه، واستخدامها نقدياً المعالجة طروحات العولمة وعصر الحادثة. وسلسلة الكتاب الأول التي تُعنى بنشر الكتاب الأول للمؤلفين: كباور لأعمالهم المستقبلية، مع مراعاة الإبداعية والشروط الكتابية الناضجة. وسلسلة سرد وشعر التي تُعنى بالكتابات الشعرية والسردية المهمة، المغایرة والمختلفة في الطرح والشكل، ذات الجودة والمكانة في تحقيق إضافة نوعية للمكتبة المحلية والعربية. وسلسلة شغف، تختص بالمخطوطات الموجهة للطفل، شعراً ونثراً، تراعي حاجات الطفل الفكرية والنفسية والوجدانية، وتحقق شروطها الفنية والجمالية والإبداعية.



هذا الكتاب متوفّر على منصة الكتب الالكترونية



هاتف: +962 5696218 فاكس: +962 5691640 | ب.ص: 6140 عمان - الأردن
E-mail: info@culture.gov.jo | website: www.culture.gov.jo